# إنتشار الإسلام والجهاد

## إفتراءات غربية .. وحقائق إسلامية


**محمد علوان**

المحامى



بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ، فانه من يهده الله إليه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهوعلى كل شئ قدير ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . .

فإن أعداء الإسلام لا يزالون يحاربونه بكل وسيلة ممكنة . . مرة بالغزوالعسكرى وثانية بالاقتصادى وثالثة بالفكرى. . . .

والمعركة بين أتباع الحق وأتباع الباطل معركة باقية ما دام هناك قلب لأهل الحق ينبض ومادام يجرى دم فى عرق أهل الباطل .

وكما بدأت المعركة بين الباطل متمثلا فى إبليس والحق متمثلا فى آدم فإنها باقية لن تنتهى إلا بانتهاء الدنيا . . .

بعث رسول الله ﷺ على حين فترة من الرسل فكذبه قومه فأقام عليهم الحجة فرموه مرة بالجنون وأخرى بالسحر والكهانة . . إلخ .

ثم زعموا أن القرآن مفترى . . . فتحداهم بأن يأتوا بمثله فعجزوا ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا . . . فتحداهم بأن يأتوا بأقصر سورة منه فما استطاعوا . . وعندما أعلنوا إفلاسهم الفكرى والعقلى

امام الدعوة الجديدة قرروا أن ينهوا على هذه الدعوة الوليدة باضطهاد أهلها وتعذيبهم فما كان من رسول الله إلا أن صبر وأمر أصحابه بالصبر حتى أذن الله لنبيه بالهجرة. ومع إذنه بالهجرة أذن له أن يدافع عن نفسه وعن وطنه الجديد فبدأ رسول الله ﷺ من ساعتئذ يعد لمعارك حربية اضطر إليها اضطراراً ولم يبدأها هو ﷺ.

وعلى الرغم من هذا يأتى سفهاء العصر ليقولوا: إن الإسلام قد انتشر بالسيف.. فرية عظيمة يضحكون بها على الناس البسطاء ليصرفوهم عن تمسكهم بهذا الدين من جانب وليشغلوا المفكرين المسلمين للرد عليهم بدلاً من الانشغال بالدعوة إلى الدين...

ولقد قيض الله تعالى واحداً من الكتاب المسلمين هوالأستاذ محمد علوان (مساعد رئيس حزب الوفد المصرى) للدفاع عن دين الله تعالى ورد هذه الفرية فى كتابه القيم:

إنتشار الإسلام والجهاد

"إفتراءات غربية.. وحقائق إسلامية"

والذى بسط فيه بإفاضة معنى الجهاد فى الإسلام ليبين التشويه المتعمد لمعنى الجهاد من أعداء الإسلام..

وبدأ كتابه ببيان معنى الجهاد فى الإسلام وعرض الموضوع فى ثمانية فصول احتوى الفصل الأول على بيان صور من الجهاد تكلم فيه عن جهاد النفس والمال وطلب العلم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومواجهة السلطان، والعمل، وجهاد الكفار والمنافقين، والدعوة إلى الله، والإبداع والجهاد الفكرى.. وفى الفصل الثانى بين

خصائص القتال فى الإسلام وحرمة الاعتداء على النفس البشرية، والإفساد فى الأرض، مع بيان التصور الإسلامى للحرب، وسلوك المحارب المسلم.

ثم تناول التعريف الغربى لمدلول الجهاد فى الإسلام، وتناول الفصل الخامس بيان كيف انتشر الإسلام، واحترام الإسلام لحرية العقيدة بلا إكراه فى الدين، وتسامح الإسلام مع الأديان الأخرى ثم يبين فى الفصول التالية أن الإسلام انتشر بالدعوة العملية والسلوكية وليس بالسيف والحرب، وأعطى نماذج عن إسلام المغول، وإسلام الصليبيين الغزاة بلا حرب ودخولهما فى الإسلام طواعية واختيارا.

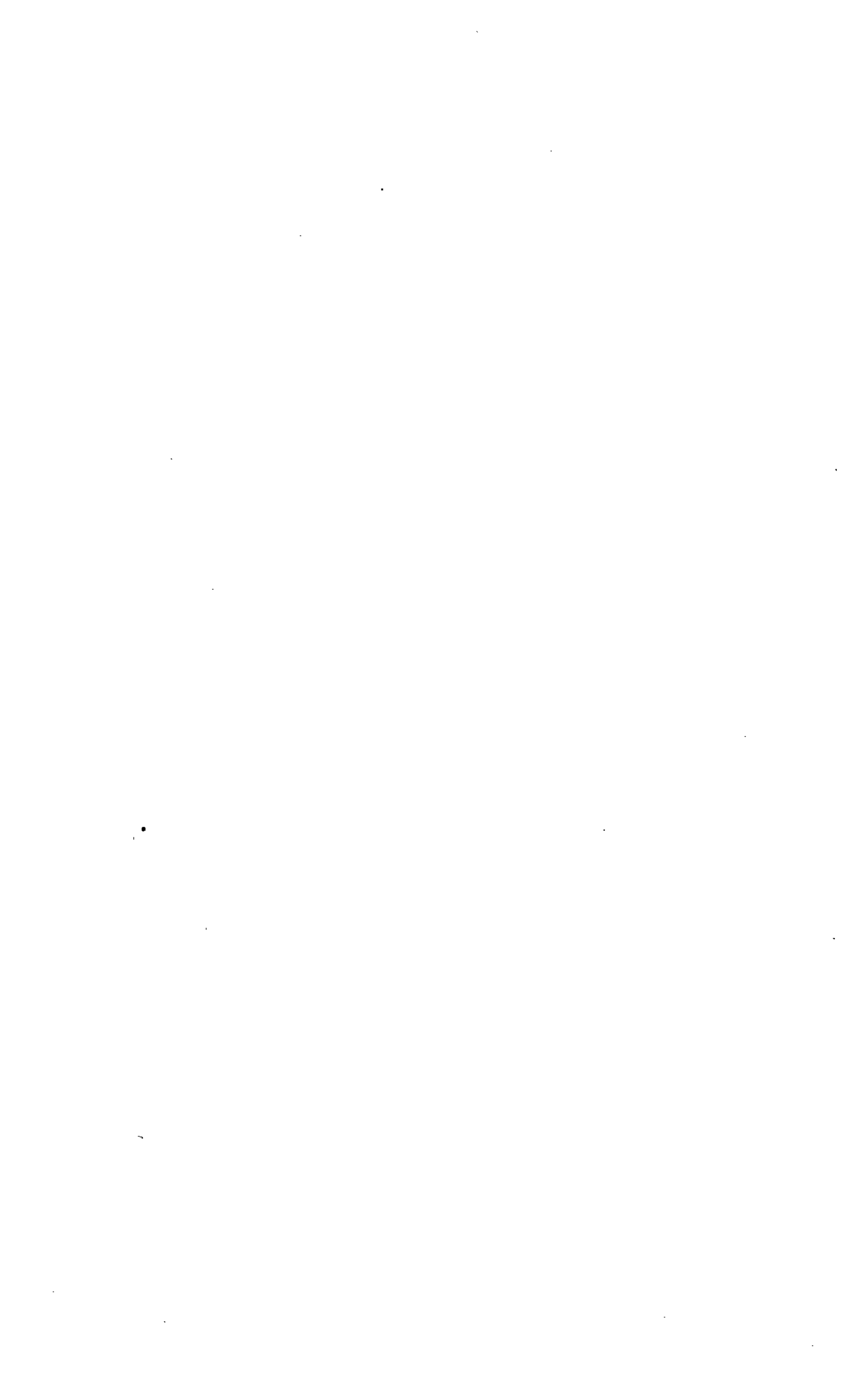
وفى النهاية اوضح كيفية انتشار الإسلام بالدعوة والاقتداء فى آسيا وإفريقيا.

والبحث فى جملته طيب جدا ومفيد فى موضوعه.

وقد أحسن – بارك الله فيه - عرض القضية، واستطاع بقلمه أن يجلى الحقيقة لكل ذى عقل ولب.

فأسأل الله تعالى أن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم وأن يجزيه خير الجزاء إنه سميع قريب

**دكتور سالم محمود عبد الجليل**
**دكتوراه فى الدعوة الإسلامية و مقارنة الأديان**
**مدير عام الإرشاد الدينى بوزارة الأوقاف**
**غرة جماد أول ١٤٢٤ هـ**



# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤلف

باسم الله وبحمده .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلق أجمعين الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وعلى هديه يسير المؤمنون الذين آمنوا بربهم وبرسالاته.. وأدعو الله أن يتقبل منى جهد العقل الطامع فى عفو الغفور الرحيم، وقد انتهيت من مسودة هذا الكتاب منذ ٥ سنوات.. قبل أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ التى حطمت كبرياء الولايات المتحدة الأمريكية.. التى نسبت الحدث للاسلام ظلما حيث أن نفرا ممن ينتمون لفكر الخوارج إبان الفتنة الكبرى اتهمتهم بالتخطيط للحدث وتدبيره وتنفيذه، ومع فداحة الجرم وفظاعته واختراقه حاجز الأمن الأمريكى داخل الولايات المتحدة ذاتها، واقتحامه حصون البنتاجون الدفاعية واستحكاماتها، انتهزت الصهيونية العالمية الحدث واستثمرته عالميا فأمعنت إفراطا فى استخدام القوة على الأرض الفلسطينية المغتصبة، وطبقت قانون شريعة الغاب، مستظلة بمساندة اصحاب القرار فى واشنطن، واسرفت فى انتهاك الحرمات واغتيال الاطفال والنساء والشيوخ وتجريف الأراضى وبناء المستوطنات على الأرض الفلسطينية بالمدن والقرى دون اعتبارلحرمات الشرائع السماوية أو المواثيق الدولية وبصورة متوحشة لاترعى حرمة لحياة أو خلق أو دين متحصنة بالفيتو الأمريكى الذى يحميها من المساءلة الدولية مما هدد الاستقرار بالمنطقة العربية، وانتقلت الحملة إلى الإسلام والمسلمين فى كل مكان باسم محاربة الارهاب وأحيت

القيادة الأمريكية مكنون ضمائر الغرب ضد الاسلام منذ الحرب الصليبية واستعمار الشرق العربى من تشويه وضلال واختلاق وافتراء حول ديننا الحنيف والكثير منها من ادعاءاتهم بأن الاسلام دين الحرب المقدسة وأن الغزو ركن من أركان الاسلام الذى انتشر بحد السيف.. وهذا كذب وافتراء .. لكن مازال قائما حتى اليوم ومازالت الحملة تشتعل وتتصاعد الى أن بلغ الأمر بالقيادة الأمريكية أن تطلب من الدول العربية والاسلامية إعادة صياغة ثوابتها الدينية والمساس بعقيدة التوحيد والتعرض لكتابنا الكريم (القرآن) وتحريفه ومحاولة تأويله.. دفعنى كل ذلك لإخراج مسودات هذا الكتاب لنشره وأعدت قراءته فآمنت بأن ما جاء به يعبر عما فهمته واستخلصته من قبل.. حاملا الرد على كل الافتراءات الكاذبة.. بل وأزددت ايمانا بأن المنهج الاسلامى نابغ شامخ يحمل فى طياته عناصر الدوام.. لأن هدى رسالة الاسلام منزلة من عند (مليك مقتدر) خلق البشر ونظم الكون وليس فيه متغير إلا وصالح لكل زمان ومكان.. وأن الجهاد هو استفراغ الوسع وبذل الجهد فى مدافعة العداء فى مختلف الميادين التى يبذل فيها الانسان جهده على تنوع هؤلاء الاعداء واستنفاد الطاقة فى سبيل حصول شرع الله سبحانه وتعالى.. لأن المؤمن مطالب بجهاد الشيطان والنفس والمنافقين والكافرين وأقران السوء.. وجهاد النفس أشق مرات من جهاد الانسان عدوه فى ميدان القتال...

وكتاب الله وأحاديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم تبين هذه المعانى بكلمات قاطعة لبناء المسلم الحق.

فالجهاد الحقيقى هو أن يعمل المسلمون على أن يصبح الاسلام قوة لايستهان بها سياسيا وثقافيا .. وعلى الدعاة ورجال الدين الاسلامى أن يراعوا فى خطابهم ما يتناسب والمخاطب به وأن يدركوا أن كتاب الله وضع لنا ضوابط فى مخاطبة أهل الكتاب : فقال تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل : ١٢٥)

وأن الدين الاسلامى مؤسس على حرية العقيدة وعدم الإجبار فيها ويقبل بتعدد الديانات .

وآياته واضحة الدلالة فى هذا الأمر ومتعددة .. حيث يقول تبارك وتعالى :

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩)

المؤلف

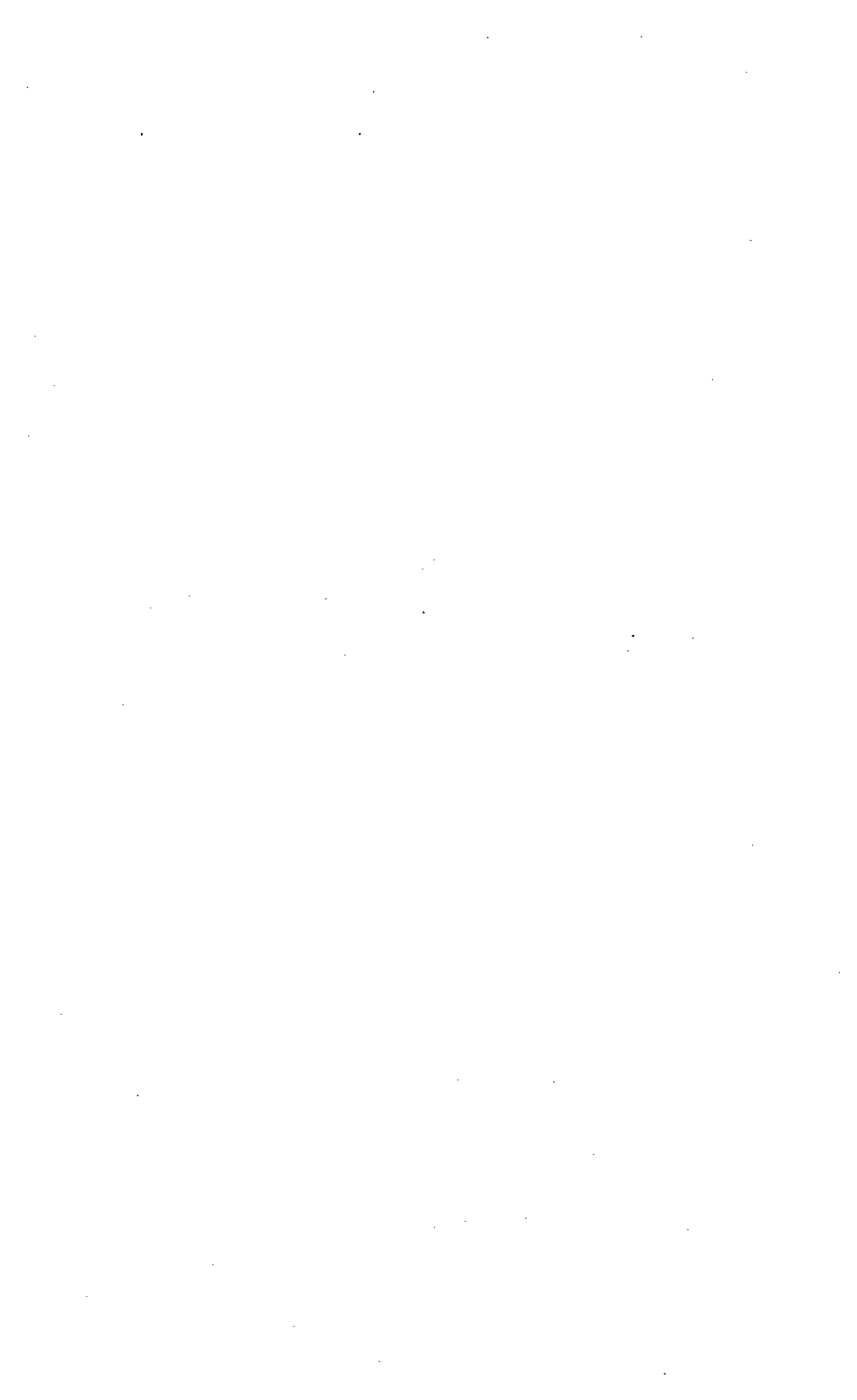
**محمد علوان**

**المحامى**





# الجهاد فى الإسلام



**تعريف الجهاد :**

بكسر الجيم أصله : لغة – المشقة ، يقال : جاهدت جهاداً أى بلغت المشقة .

وشرعا : بذل الجهد فى قتال الكفار، ويطلق – أيضا – على مجاهدة النفس والشيطان والفساق (نيل الأوطار للشوكانى – جـ ٧ ص ٢٢٠)

وقد جاء فى تفسير المنار (جـ ١٠ ص ٢٦٩) أن الجهاد أضرب :

١– مجاهدة العدو الظاهر

٢– مجاهدة الشيطان

٣– مجاهدة النفس

وتدخل ثلاثتها فى قوله تعالى :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (الحج آية ٧٨)

وقال ﷺ : (جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم) رواه : أبو داود بإسناد صحيح – رياض الصالحين.

والجهاد بالأيدى يعنى السلاح ومقوماته والأخذ بعناصره والاستعداد له .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

وإن كان النصر لا يتوقف على العدة والعتاد إلا أن ذلك ضرورى للقتال ، ورغم أن النصر هبة من الله لعباده ويقترن بإرادته . . فإنه يأتى بعد إعداد العدة والأخذ بالأسباب .

فالجهاد : مصطلح واسع وفضفاض وهواستفراغ الوسع وبذل الجهد فى مدافعة الأعداء فى مختلف الميادين التى يبذل فيها الإنسان جهده مع تنوع هؤلاء الأعداء واستنفاد الطاقة فى سبيل حصول مقصود شرع الله سبحانه وتعالى ، وشرع الجهاد لقطع سبل الشيطان على الخلق .

فمن الفكر إلى السعى المادى إلى ميادين القتال إلى مجاهدة النفس ومغالبة وسوسة الشيطان وكلها صور لألوان وأنواع الجهاد للسير على شرع الله ودينه ، فالمؤمن مطالب بجهاد الشيطان ، والنفس ، والمنافقين ، والكافرين ، وأصحاب السوء .

وليس الأمر مقصورا على معنى واحد وهومحاربة الكفر ، فجهاد النفس أشق ، لأنه جهاد الإنسان داخل نفسه وذاته ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية توضح هذه المعانى بكلمات قاطعة لبناء المسلم الحق .

فمن الحديث ما رواه جابر عن الخطيب "قدمتم من خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، مجاهدة العبد هواه "

وحديث على عن أبى نعيم :

"الجهاد أربع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى مواطن الصبر وشنآن الفاسق"

أما الغرب فهويعبر بلفظ الجهاد على أنه يعنى الحرب عند المسلمين تدليلا على الصراع المسلح ضد الأعداء، وهذا ما يعبر عنه القرآن بالقتال ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ( البقرة ١٩٠ ).

فمصطلح الجهاد فى الإسلام يراد به فى أحيان كثيرة بذل الجهد فى ميادين أخرى ومهام مختلفة ولا يقتصر على القتال فى ميادين الحرب[١].

فالجهاد هداية المشركين للإسلام أوالعمل من أجل الإصلاح الأخلاقى.

والجهاد بذل الجهد فى سبيل الإسلام والأمة الإسلامية وإصلاح النفس، ومن سمات المسلم الحق الإيمان بالله لأنه الركيزة الأساسية بكافة صوره وأشكاله ونوعياته، وكلما ازداد الإيمان رسوخا فى النفوس، ازدادت قدرة الإنسان على العطاء والجهاد فى سبيل الله ، وقد قال رسول الله ﷺ : "من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهوفى سبيل الله"

"والذى نفسى بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار" (أخرجه مسلم)

والطاعة جزء أساسى من جوهر الإيمان وذلك بشرط الاستسلام المطلق لله تعالى، الذى نظم أمور الحياة تنظيما دقيقا ومحكما.

---

١ - صور من الجهاد ص ٨ وما بعدها من هذا الكتاب .

وقد وعد الله الذين يتولاهم بأن النصر لهم، لأنهم حزب الله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٤، ٥٥، ٥٦)

وخلاصة القول إن الجهاد الحقيقى أن يعمل المسلمون على أن يصبح الإسلام قوة لا يستهان بها سياسيا وثقافيا، وعلى الدعاة وعلماء الدين الإسلامى أن يراعوا فى خطابهم ما يتناسب والمخاطب بهم، وأن يدركوا أن كتاب الله وضع لنا ضوابط مخاطبة أهل الكتاب ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥)

## مفهوم الجهاد فى الإسلام:

الجهاد فى الإسلام من مقاصد الشريعة الإسلامية والغرض منه الدفاع عن النفس، والمال والدين، والوطن.. وعن الكرامة الإنسانية بصفة عامة، وعن الحق المغتصب، وعن المظلوم. فالإسلام ضد الظلم والاستغلال، والجبروت والتكبر، سواء صدر عن الحاكم أو عن المحكومين، أوعن دولة كبيرة.

فالإسلام من مقاصد الشريعة فيه الدفاع عن النفس والعرض والمال والوقوف إلى جانب المظلوم انتصاراً للحق، وفى وجه الظلم حتى يندحر. وهذا كله يدخل فى مفهوم الجهاد، فكل من يدافع عن حقه أوحق الغير أمام الظلم، وكل من يدافع عن أرضه أوماله أوعرضه، ويواجه العدوان الواقع عليه، فله الحق فى أن يستعمل كل الوسائل المشروعة، .... وليس هناك دين من الأديان يدعو أصحابه إلى السكوت عن الظلم إذا كانت أرضه وحقوقه مغتصبة، وكل الأديان تدعوإلى نصرة المظلوم ضد الظالم.

ومن أحسن الآراء التى توضح حقيقة الجهاد فى الإسلام ما انتهى إليه الإمام محمد عبده إذ يرى (أن الجهاد والقتال فيه ليس دينا أى ليس ركنا من أركان الدين ولا ذا طبيعة وفلسفة دينية وإنما هوأمر سياسى علاقته بالدين لا تتعدى علاقة السياج اللازم لحرية الدعوة إلى الدين وحرية الدعاة وحرية الاعتقاد)..

ونستطيع أن نطمئن لهذه الصياغة، بل وأن نزداد اطمئنانا، إذا نحن تحدثنا عن أركان الإسلام فوجدناها خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. وإقام الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

فهي أركان خمسة وليس فيها الجهاد ولا القتال[1] وكذلك الحال إذا نحن تحدثنا عن أركان الإيمان فهي ستة: الإيمان بالله.. والملائكة والكتب المنزلة على الرسل.. والتصديق بالرسل.. واليوم الآخر.. والتسليم بالقدر.. فهي أركان ستة، وليس فيها الجهاد" أ. هـ

* بعض آيات القرآن في الجهاد والقتال:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (آل عمران ١٥٦ – ١٥٨).

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا

---

(١) من كتاب الإسلام والحرب الدينية " سلسلة اقرأ " دكتور محمد عمارة، نقلاً عن الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ج ٤ ص ٧٣٢، ٧٣٣.

بهم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا * وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا * وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً *

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (النساء ٧١-٨٧).

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (النساء: ٨٤).

* سورة الأنفال وضعت أسس القتال ودوافعه وضرورة الاستعداد لمواجهة الأعداء ومنها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال: ١٥-١٧)

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الأنفال: ٣٨-٤٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٥-٤٦)

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ * وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ * وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال ٥٥-٦٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ

في الأرض وفساد كبير * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم * والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ (الأنفال: ٧٢-٧٥).

* وسورة التوبة ورد بها من آيات القتال وبيان أحكامه وتحديد مفهوم الجهاد ووسائله ما يلى :

* وسورة التوبة ورد بها من آيات القتال وبيان أحكامه وتحديد مفهوم الجهاد ووسائله ما يلى :

﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون * كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين

عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ١- ١٦).

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة ٢٠-٢٢).

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ

حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٤-٢٩).

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: ٣٦).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ

وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ * لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ * قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة ٣٨-٥٢).

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا

تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ٨١-٩١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج ٣٨-٤٠).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُود
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذ
جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوب
الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا
شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّ
وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُم
فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَة
إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَة
لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا
يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً * قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم
مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً * قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم
مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُون
اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ
هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْف
رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا
ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ
يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ
عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ
اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا
رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٩- ٢٧).

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد: ٤- ٦).

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (محمد: ٢٠-٢١).

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلَا

تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣١-٣٥).

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨ - ٢٧).

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن

فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٠-١١).

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ * وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ

إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر :٢-١٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ (الصف : ٤)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف : ١٠-١٣).

هذه هى بعض آيات القتال فى وضوحها وأسسها وبنيانها ، تحدد إطار القتال والحرب فى سبيل الله لا تحتاج إلى تبيان أوتفسير ، إنما

التأويل والافتئات يخرج الإنسان إلى التجنى بالافتراء والكذب والبهتان وهذه سمة كُتَّاب الغرب الذين جاروا على النصوص ووصموا الإسلام بالانتشار بحد السيف وهو أمر مناقض للحقيقة ومتجاوزها إذ أن الجهاد أوسع مدى من القتال، والاقتتال ما فرض إلا للدفاع عن الحق لا العدوأن، فالإسلام يحرِّم الحرب العدوانية ونهب الثروات واستغلال الأمم والناس ، فهويحارب لتحرير الشعوب لا لاستعبادها واستهلاك أموالها كما فعل ويفعل الغرب المسيحى والاستعمار الأمريكى الآن فى بربريةٍ ووحشيةٍ تخالف كل ما هوثابت من قيمٍ سويةٍ إنسانيةٍ، وقد استشهد الدكتور جوزيف يوسف ببعضها كأمثلة تنم عن بربريةٍ الغرب إبَّان الحروب الصليبية وذلك فى كتابه[١] (تحت عنوان بربرية الغرب وتحضر العرب من أنهم حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة سموها (مصير السيد ) وسمو سيدنا عمر عندما رفض الصلاة فى كنيسة القيامة عندما دعاه البطريرك لذلك، حتى لا يتخذها المسلمون بعده ذريعة للصلاة فيها حرصا على شعائر الأديان ، أما ساسة الغرب الصليبى فقد ساروا فى جميع حملاتهم الصليبية العدوانية ضد العرب وعندما غادروا دمياط عام ١٢١٨ فى عهد الملك الكامل محمد أحالوا مسجد المدينة إلى كنيسة كاثوليكية بل ونَكَّلوا بالمسيحيين الشرقيين لأنهم على غير مذهبهم) ثم يستطرد فى عرضه[٢] :

(١) كتاب (الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى) للدكتور جوزيف يوسف ص ٢١٧ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق (ص ٥٤ )

(وفى تقديم سالفيان لفتوح الشام وما تمخَّضت عنه يقول : إنها تروى قصة النجاح المذهل الذى حقَّقه شعبٌ كان منذ فترة غير بعيدة ضعيفا مفككا، لكنه تحوَّل بسرعة مذهلة بفضل الدين الجديد إلى قوة جبارة ، ويستطرد مبيّناً أن العالم لم يشهد أبداً منذ أقدم العصور مثل هذه الدولة الشاسعة المترامية الأطراف التى أخذت تتكون مع بدايات القرن السابع الميلادى وتحدَّدت معالمها فى أواسط القرن الثامن حتى أنه لم يكن باستطاعة أحد أن يجادل فى أمر ظهور قوى عالمية كبرى قادرة ليس فقط على ترك بصماتها على حوض البحر المتوسط بل على تغيير مجرى التاريخ البشرى... إلخ.

كما أصبح حوض البحر المتوسط ، بحيرة إسلامية بعد أن كان بحراً رومانياً حسبما يقول المؤرخ هرى بيرمن، وهكذا وقفت أوروبا مكتوفة الأيدى أمام العالم الإسلامى، وقد صاحب القوى السياسية التى تتمتع بها ازدهار حضارى شمل مختلف النواحى والمجالات .

وقد كانت سنة ١٠٩٥ بداية الحروب الصليبية لأنها السنة التى أعلن فيها البابا آريان الثانى إلى حمل الصليب للاستيلاء على فلسطين فى خطبته التى ألقاها فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥ فى مؤتمر بفرنسا وانخرط فيها الناس من كل فج وصوب فى الغرب ، وكان الغرض تأسيس إمارات لاتينية فى فلسطين، اعتبرت سنة ١٢٩١ نهاية لها وهى السنة التى استولى فيها السلطان المملوكى الأشرف خليل على مدينة عكا آخر معاقل الفرنجة بفلسطين.

وقد فرَّق المؤرخ العلامة أرنولد توبينى (البريطانى) بين الفتح الإسلامى والغزوالغربى ، إذ إن الغرب قبل المسيحية وبعدها اتجه

لاستعباد الدول وسلب ثرواتها ولكن الإسلام اتجه لتحرير الدول والإنسانٍ، ولم يكن الزحف الإسلامي قط استعماراً أواستعباداً ولا استيلاء على سواه، بل كان عدالة مطلقة، ولقد تحررت البلدان الشرقية بالزحف الإسلامي من الاستعمار الروماني، المسيحي، وقد امتد هذا التحرير من سوريا إلى أسبانيا عبر الشمال الأفريقي واستمرت تلك البلدان تحت الحكم الإغريقي أوالروماني نحو ألف سنة بعد زحف الإسكندر المقدوني حتى التحرر في العهد الإسلامي وكذلك الجانب الشرقي للجزيرة العربية، وقد تحرَّرت العراق بعد طول استعباد الفرس لها، كذلك تحررت فارس من ربقة الكهنوت والبراهمة.

فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم المستشرقون ولكن انتصر على السيف، فقد رفع في وجهه السيف وانتصر على السيف الذى أُشهر في وجهه، فالمسلم لا يلجأ إلى القتال إلا كارها كما قال الله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة: ٢١٦).

• **الحديث النبوى الشريف:**

* قال رسول الله ﷺ: " عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله " رواه: الترمذى.

* وعن عبد الله بن عمروبن العاص، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ: قال:

أتدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟

قالوا: الله ورسوله أعلم!..

قال ﷺ أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا،

وإذا كانت لرجلٍ منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهى فى صدره لا يستطيع لها قضاء. فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته أءتوهم فحيوهم فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتى هؤلاءِ فنسلم عليهم؟!.. قال إنهم كانوا عبادا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء..

قال فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها ويقول (أى عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقُتلُوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب)" رواه: أحمد بن حنبل.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ: قال: " لا يجتمع الشح والإيمان فى جوف رجل مسلم ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف رجل مسلم" رواه: أحمد بن حنبل.

* وعن زيد بن خالد الجهنى، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ: قال: " من جهَّز غازيا فى سبيل الله عزَّ وجلَّ فقد غزا ومن خلفه فقد غزا" رواه: احمد بن حنبل.

* وعن صفوان، رضى الله عنه، قال:

"بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فقال: سيروا باسم الله، فى سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تغلوا، ولا تقتلوا وليدا" رواه: الترمذى.

* وعن سعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنه ، قال :
"بعثنا رسول الله ﷺ فى رجب ، ولا نكون مائة فأمرنا أن نغير على حى من بنى كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليها وكانوا كثيرا ، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا : لم تقاتلون فى الشهر الحرام ؟! فقلنا : إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام فى الشهر الحرام " رواه : احمد بن حنبل .

* وعن جابر ، رضى الله عنه ، قال :
" قال رجل ، يوم أحد ، للرسول ﷺ إن قتلت فأين أنا ، قال : فى الجنة ، فألقى (الرجل) تمرات كُنَّ فى يده فقاتل حتى قتل " رواه : البخارى ومسلم والنسائى وأحمد بن حنبل .

* وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
"والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلَّفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزوا فى سبيل الله عزَّ وجلَّ ، والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل" رواه : النسائى .

* وعن أبى عميرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
" لأن أقتل فى سبيل الله أحب إلى من المدر "الحضر" والوبر "البادية" رواه : أحمد بن حنبل .

* وعن معاذ بن أنس عن أبيه ، رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : " لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكنفه على راحلة غدوة أوروحة أحب إلى من الدنيا وما فيها " رواه : ابن ماجة وأحمد ابن حنبل .

* وعن أبى قتادة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
"الجهاد فى سبيل الله والإيمان أفضل الأعمال" . فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله ، أتكفر عنى خطاياى ؟ ! . .
فقال ﷺ : "نعم إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الدّين فإن جبريل قال لى ذلك" رواه : البخارى ومسلم والنسائى .

* وسأل رجل رسول الله ﷺ :
" أى الأعمال أحب إلى الله ؟ . .
قال : الصلاة على وقتها . . .
فقال الرجل : ثم أى ؟ . .
قال الرسول ﷺ : بر الوالدين . .
فقال الرجل ثم أى ؟ . .
قال الرسول ﷺ : ثم الجهاد فى سبيل الله" رواه : البخارى ومسلم والترمذى والنسائى والدارمى واحمد بن حنبل .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رجلا سأل رسول الله ﷺ :
" أى الأعمال أفضل ؟ . .
فقال : الجهاد فى سبيل الله
قال الرجل : ثم ماذا ؟ . .
فقال رسول الله ﷺ : ثم الحج المبرور" . رواه : البخارى والنسائى .

* وعن معاذ بن جبل ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
" ألا أخبرك برأس الأمر وعموده ؟ وذروة سنامه ؟ .
فقلت : بلى يا رسول الله .

فقال ﷺ : "رأس الأمر وعموده : الصلاة : وذروة سنامه : الجهاد" رواه : الترمذى وابن ماجة وأحمد بن حنبل.

* وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رجلا جاء إلى الرسول ﷺ فقال :

"يا رسول الله علّمنى عملا يعدل الجهاد ...

فقال : لا أجده ! هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل المسجد فتقوم ، لا تفتر ؟ وتصوم ، لا تفطر ؟! ...

قال الرجل : لا أستطيع "

قال أبوهريرة إن فرس المجاهد يستن (أى يعدو) فى طوله فيكتب له حسنات" . رواه : البخارى ومسلم والترمذى والنسائى واحمد بن حنبل.

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه :

" سئل رسول الله ﷺ أى الناس خير ؟ ..

فقال : مؤمن مجاهد بماله ونفسه فى سبيل الله....

فسئل : ثم من ؟

فقال : مؤمن فى شعب من الشعاب يتقى الله، ويدع الناس من شره" رواه : البخارى ومسلم والنسائى وأبوداوود والدارمى واحمد بن حنبل.

* وعن أبى سعيد الخدرى، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :

"يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وجبت له الجنة "

فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال : وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض "

قال أبو سعيد : وما هى ، يا رسول الله ؟ !

قال ﷺ : الجهاد في سبيل الله الجهاد فى سبيل الله " رواه : البخارى ومسلم والترمذى والنسائي والدارمى واحمد بن حنبل .

وعن النعمان بن بشير ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : "مثل المجاهدين فى سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله حتى يرجع متى يرجع" رواه : مسلم .

* وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : "يؤتى الرجل من أهل الجنة ، فيقول له : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ . .

فيقول : أى رب ، خير منزل

فيقول : سل وتمن . .

فيقول : ما أسأل وأتمنى إلا أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات ، لما يرى من فضل الشهادة" رواه : أحمد بن حنبل .

* وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : "ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يخرج منها ، وإن له ما على الأرض من شئ ، غير الشهيد ، يحب أن يخرج فيقتل لما يرى من الكرامة" رواه أحمد بن حنبل .

* وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : "غاب عمى أنس بن

النضير عن قتال بدر، فقال يارسول الله ﷺ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن اللهأشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ! فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال اللهم إنى اعذر إليك مما صنع هؤلاء - (يعنى اصحابه) - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - (يعنى المشركين) - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد بن معاذ، الجنة، ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت: يا رسول الله ﷺ ما صنع ! قال أنس: فوجدناه به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف اوطعنة بالرمح اورمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه".

* وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

"حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيها إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟!" رواه: أحمد بن حنبل.

* وعن معاذ بن جبل، رضى الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ قال:

"من قاتل فى سبيل الله من رجل مسلم فواق[1] ناقته وجبت له الجنة ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقا ثم مات أوقتل فله أجر شهيد، ومن جرح جرحا فى سبيل الله أونكب نكبة فإنما تجئ يوم

(١) بفتح الفاء وضمها، مصدرها: زمن يسير مقداره ما بين حلبتى حلمة ضرع الناقة من الزمن.

القيامة كأغذ ما كانت كالزعفران، وريحها كالمسك ومن جرح جرحاً في سبيل الله فعليه طابع الشهداء" رواه: أحمد بن حنبل.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

"ثلاثة كلهم حق على الله: عون المجاهد فى سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكاتب[1] يريد الأداء" رواه: النسائى، وأحمد بن حنبل.

* وقال ﷺ: "النبى فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والمولود فى الجنة، والوئيد فى الجنة" رواه أبوداود، وأحمد بن حنبل.

* وعن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "من قتل أومات فى سبيل الله فهوفى الجنة" رواه: أحمد بن حنبل.

* وعن سعيد بن زيد بن عمروبن نفيل، أن رسول الله ﷺ قال:

"من قتل دون ماله فهوشهيد، ومن قتل دون دينه فهوشهيد، ومن قتل دون دمه فهوشهيد، ومن قتل دون أهله فهوشهيد" رواه: الترمذى.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

"انتدب الله، عز وجل، لمن خرج فى سبيله، لا يخرج إلا جهادا فى سبيلى وإيماناً بى وتصديقاً برسولى فهوعلى ضامن أن أدخله الجنة أوأرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه، نائلا ما نال من أجر أوغنيمة، والذى نفس محمد بيده، ما من كلم (الكلم: الجرح) يكلم فى

---

(١)- المكاتب (بالبناء للمفعول): الرقيق يتعاقد مع سيده على مال يتحرر مقابل سداده له.

سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم لونه لون الدم، وريحه ريح المسك. والذى نفس محمد بيده، لولا أَن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزوفى سبيل الله أبدا، ولكنى أجد سعة فيتبعونى ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدى. والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزوفى سبيل الله فأقتل ثم أغزوفأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل" رواه: البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والدارمى وأحمد بن حنبل ومالك فى الموطأ.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "من أنفق زوجين من ماله فى سبيل أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان" فقال أبوبكر الصديق: والله، يا رسول، ما على أحد من ضرورة من أيها دعى، فهل يدعى منها كلها أحد، يا رسول الله؟.. قال" نعم، وإنى أرجوأن تكون منهم" رواه: البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأحمد بن حنبل، ومالك فى الموطأ.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة" رواه: النسائى، وابن ماجة، والدارمى، وأحمد بن حنبل.

* وعن عبد الله بن عمرو، رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

"ما من مسلم يُظْلَم بمظلمة فيقاتل فيقتل إلا قُتل شهيداً" رواه: أحمد بن حنبل.

* وقال رسول الله ﷺ : "إلبس جديداً، وعش حميداً، ومت شهيدا يرزقك الله قرة عين الدنيا والآخرة" رواه ابن ماجة، وأحمد ابن حنبل.

* وعن المقدام بن معد يكرب، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

"للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحَلَّى حلة الايمان ويزوج من الحور العين، ويشفع فى سبعين إنسانا من أقاربه " رواه: ابن ماجة.

وعن جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، لما قتل عبد الله بن عمروبن حرام، يوم أحد، قال رسول الله ﷺ :

"يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عزَّ وجلَّ لأبيك؟!

قلت :بلى . . . !

قال: ما كلَّم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلَّم أباك كفاحاً مواجهة فقال: يا عبدى تمن علىَّ أعطك قال: يارب! تحيينى فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق منى: (إنهم إليها لا يرجعون).

قال : يارب فأبلغ من ورائى. فأنزل الله عزَّ وجل، هذه الآية:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٩).

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

"أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه" رواه : الترمذى وابن ماجة .

* وعن عتبة بن عبد السلمى ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

"القتلى ثلاثة : مؤمن جاهد نفسه وماله فى سبيل الله ، إذا لقى العدوقاتل حتى يقتل . . فذاك الشهيد الممتحن ، فى خيمة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة " رواه : الترمذى .

ومؤمن خلط عملا صالحاً وآخر سيئا ، وجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله إذا لقى العدوقاتل حتى يقتل . . مصمصة محت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء للخطايا ، وأدخل من أى أبواب الجنة شاء . ومنافق جاهد بنفسه وماله ، فإذا لقى العدوقاتل حتى يقتل ، فذاك فى النار ، إنَّ السيف لا يمحو النفاق" رواه : الدارمى .

* وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

"وفد الله ثلاثة : الغازى ، والحاج ، والمعتمر" رواه : النسائى .

* وسأل رجل النبى ﷺ قال :

"عندما مرَّ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته ، فقال : لواعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشعب ؟ ! فذكر ذلك لرسول الله فقال له ﷺ : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ ! اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة" رواه : الترمذى .

* وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
"من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله فيه وفيه ثلمة [1]" رواه : الترمذى وابن ماجة.

* وعن أنس بن مالك، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :
"من طلب الشهادة، صادقا أعطيها ولولم تصبه" رواه : مسلم.

* وعن عثمان بن عفان، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :
"من رابط ليلة فى سبيل الله، سبحانه وتعالى، كانت كألف ليلة صيامها وقيامها" رواه : ابن ماجة.

* وعن أبى الدرداء، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :
"غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البر، والذى يسدر[2] فى البحر كالمتشحط[3]فى دمه فى سبيل الله سبحانه» رواه ابن ماجة.

* وعن واثلة بن الأسقع، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :
"صلوا على كل ميت، وجاهدوا مع كل أمير" رواه : أبوداود، وابن ماجة.

* وعن عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال :
"ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى، إلا كان من أمته حواريون

---

(١) - الثلمة : موضع الكسر والخلل
(٢) - يسدر : يميل ويهتز من ارتجاج السفينة
(٣) - المتشحط : المدرج بدمه

وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خلُوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهومؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهومؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهومؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" رواه: مسلم.

* وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودى وراء الحجر أوالشجر، فيقول الحجر، أوالشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله" رواه: البخارى ومسلم، والترمذى، وأحمد بن حنبل.

* وقال ﷺ: " جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم ".

(من خرج فى طلب العلم فهوفى سبيل الله حتى يرجع)[1]

(إذا جاء الموت طالب العلم وهويتعلَّم مات شهيدا)

(أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر)

(أفضل الجهاد جهاد النفس فى ذات الله)

* وقابل رسول الله ﷺ قوما قدموا من قتال فقال لهم:

"مرحبا بكم، قد عدتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟! فقال: جهاد النفس"

* وسألت السيدة عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فقالت:

---

(١) - كتاب "العلم" - رياض الصالحين للنووى ؟

"يا رسول الله : ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ ! فقال :ولكن أفضل الجهاد حج مبرور"

* (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله)

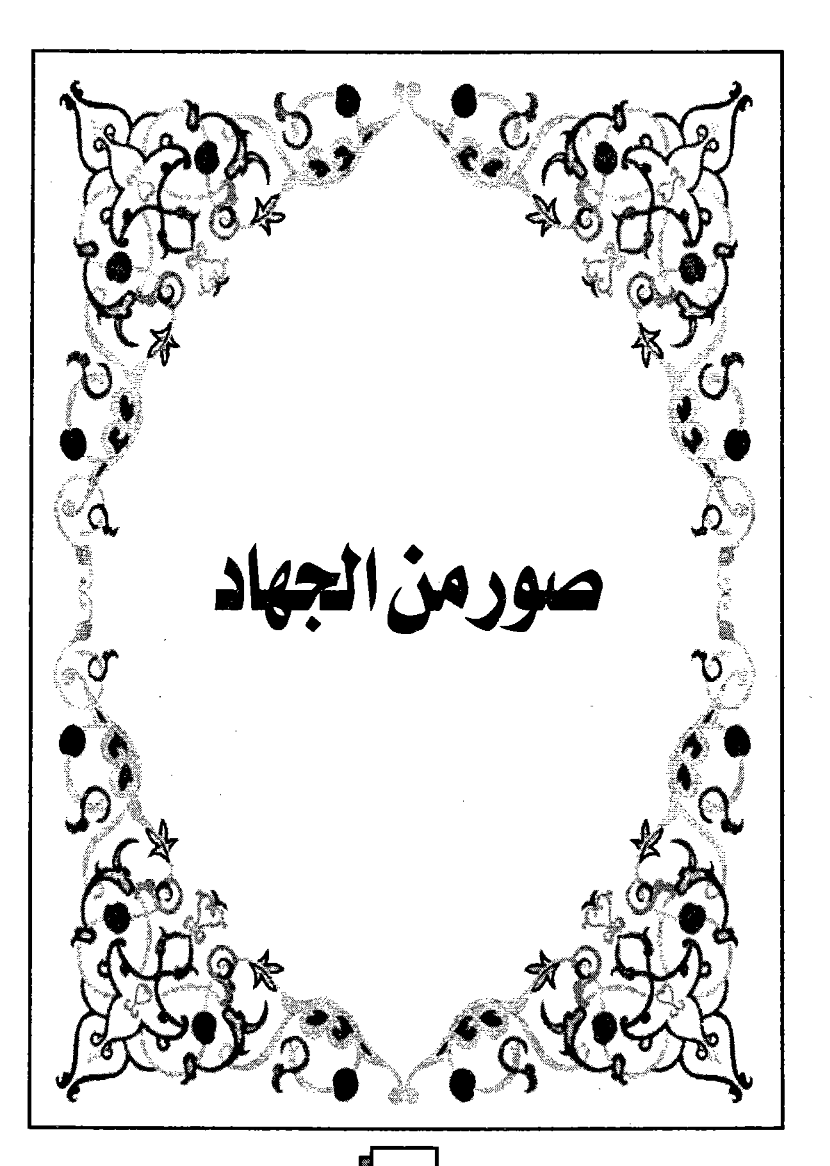
* وأتى رجل إلى النبى يستأذنه فى الجهاد فسأله ﷺ :

"أحي والداك ؟ قال : نعم قال ففيهما فجاهد" رواه :البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد بن حنبل .

* وجاء الشاعر الصحابى كعب بن مالك إلى رسول ﷺ سائلا :

"إن الله تبارك وتعالى ، قد أنزل فى الشعر ما قد علمت كيف ترى فيه؟ فقال النبى ﷺ : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه" رواه : أحمد بن حنبل .





# صور من الجهاد



## ١ - جهاد النفس والمال

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (الأنفال : ٧٢) .

فالمال لا يقل دوره عن السلاح ، فبالمال تزود الجيوش بالغذاء والعتاد والقوة البشرية المجاهدة قوى ثلاثية متلازمة لا تنفصل عراها والحديث "من جهَّز غازيا فقد غزا " (١)

فمفهوم الجهاد على أنه القتال وحده مفهوم قاصر مضلل لمعنى الجهاد ومراميه فى الإسلام ، ومقصده الشرعى ، لأن الجهاد فى ميدان القتال هوفرع من فروع الجهاد المتعددة فى الحياة ، ومرتبة من مراتب الجهاد ومنها جهاد النفس وكبحها حتى لا تقع فى الغضب أوالضلال .

والجهاد بالمال يعنى بذله فى مصارفه الشرعية التى حدَّدها شرع الله لخدمة البشرية ، وليس باكتنازه وإنفاقه على الملذات والمتع الحرام ، فمدلول كلمة الجهاد فى الإسلام أوسع وأشمل من معنى محاربة الكفار ، ويتعمَّد أعداء الإسلام تحريف المعانى الإسلامية السامية وذلك إمَّا لضآلة فهم حقائق شرع الله أوالكيد للإسلام بتحريف أحكامه والتلاعب بمعانى الكلمات وفعل هذا رجال من الغرب المسيحى يأولون ويحرِّفون كلمة الجهاد عن مدلولها فى الإسلام والذى يتَّسع بمعنى الجهاد ومفهومه خارج إطار المفهوم الغربى فالجهاد ركيزة

(١) - زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ ص ١٦

أساسية لأنه عمل دائم طوال حياة الإنسان المسلم، فالجهاد يكون لتحقيق مقاصد الشريعة ويشمل : الجهاد باليد، واللسان، والقلب، والمال، واستعمال سلطة القانون، وبالموعظة الحسنة، والإقناع، وبنشر الفضيلة لتأمين الدعوة ونشرها وعرضها وشرحها، كما يكون لإعداد الجيوش ويعتبر نافذة من نوافذ مصارف الزكاة، والإسلام يحض على ذلك كما جاء فى قوله تبارك تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة : ٦٠).

وقد أتى رجل إلى النبى ﷺ يستأذنه فى الجهاد بمعنى القتال :

"فسأله الرسول : أحى والداك ؟

قال : نعم.

قال : ففيهما فجاهد" رواه : البخارى ومسلم وابوداود وابن حنبل.

وجهاد النفس والهوى ومحاولة منعها من الإقدام على ما يغضب الله وتحمل الشدائد والصبر على المكاره.. واجب على كل نفس بشرية.. ففى الحديث " أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه".

ومجاهدة النفس أفضل الأعمال وأزكاها، لأنها تلهم النفس المطمئنة وتزكيها وتعمل على تقواها، وتجعلها أكثر استجابة لتعاليم الدين الإسلامى ونواهيه واتباع سنة رسول الله ﷺ وتخرجها من

دائرة النفس الأمَّارة بالسوء إلى دائرة النفس الصالحة النقية التقية ذات الخلق القويم والسلوك الحق مع الآخرين.

ومن العبادة كما ورد فى الأحاديث" الحج جهاد والعمرة تطوع" رواه: ابن ماجة، أو"الحج جهاد كل ضعيف" رواه: النسائى وأحمد بن حنبل.

ويبذل الإنسان فى المجاهدة غاية جهده فى طاعة الله والخضوع لحكمه والصبر على المكاره والسيطرة على النفس لتنفيذ حكم الله وتطبيق شريعته التى آمن بها والعمل بسياسته الشرعية وقانونه الحربى ونظامه وتعليماته الأخلاقية، والآية الكريمة تقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (المائدة: ١٠٥).

فكل عمل صالح يؤدى باتقان هو جهاد وعبادة، والانضباط فى الاستهلاك جهاد ايضا لأن ذلك إسهام فى تقوية وتنمية الموارد فى الدولة. فالمؤمن يعمل فى إصرار ومثابرة، على تقوية نفسه جسمانيا بالرياضة، ودينيا بالعبادة، وعقليا بالاطلاع والعلم.

فالإسلام يعمل على بناء الإنسان رجلا كان أوامرأة، وهذا كله جهاد فى مقاومة الشهوات والملذات بمجاهدة النفس والصبر على المكاره والمصاعب فالإنسان فى جهاد طوال حياته لأنه حمل الأمانة من قبل.. وهذا هو الجهاد الأكبر وصدق الرسول ﷺ الذى بين لنا أن الجهاد مفهومه أعم وأشمل من المفهوم الضيق للجهاد بمعنى الحرب الذى يقتصر الغرب على اعتباره هوغاية الإسلام من الجهاد وحده، غافلين سائر صور الجهاد ومفهومه الواسع فى الإسلام.

**٢- طلب العلم:**

يعتبر طلب العلم في الإسلام نوعاً من الجهاد لتكوين الأمة الإسلامية على أسس العلم في جميع المجالات للتقدم والارتقاء والأخذ بأسباب الحياة وتطورها، ويدعو الإسلام إلى ذلك لأنه بالعلم تقوى الأمة. وقد كان الإسلام سبَّاقا إلى ذلك، وتؤكد ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ولذلك من القواعد الأساسية في حياة المسلمين جهاد النفس في طلب العلم وتحمل مشاقه، فالعلم جهد ومشقة ويحتاج إلى الصبر والمعاناة حتى يبتعد الإنسان عن ذل الجهل.

وفي الحديث "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"

**٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

حديث سيدنا علي عن أبي نعيم :

"الجهاد أربع: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في مواطن الصبر وشنآن الفاسق"

ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدة الشيطان بدفع الشبهات والشكوك المحيطة بالإنسان ومجاهدة الشهوات، بالصبر على التزام الحلال واجتناب الحرام ويدعو الإسلام إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعتبره مبدأ أساسيا في الإسلام ومطالباً به المسلم.. لتقويم الانحراف

بجميع أشكاله واتجاهاته، وما هوإلا وسيلة من وسائل الجهاد وحسب الملابسات والظروف، وهوأساس من أسس التربية الدينية لكبح جماح الشهوات فى إطار البعد عن المحرمات والكبائر بالجهاد باللسان والقلب وهوأضعف الإيمان، وذلك لصد العدوان على العقيدة الإسلامية.

وفى سيرة الرسول وصحبه وهم قلة بمكة درس وأسوة، فأمام المؤمن مجالات واسعة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومجالات للعمل واسعة ومتنوعة مثل محوالأمية والدعوة ونشر الوعى الدينى وإيثار السلوك القويم، والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالمجال متسع فى مجالات العمل الاجتماعى والصحى والتعليمى والرياضى فسمة الإسلام بعد الإيمان بالله ورسوله.. الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهذا موجه إلى الجميع، فهما مسئولية الحكومة وواجب كل مسلم فى كل موقع .

**٤- مواجهة السلطان:**

من قيم الإسلام الشجاعة فى الرأى وقول الحقيقة ومواجهة كل من يجور أويظلم، ويحثنا القرآن وأحاديث الرسول ﷺ على ذلك، فكلمة الحق مطلوبة دوما من المسلم دون انحراف أوتحيز لتبعدنا عن دائرة النفاق الذى أصبح وسيلة العصر الذى نعيشه، وتاهت فيه الحقيقة وشوهت، وأصبح فى هذا الوباء السرطانى يتنافس المتنافسون.

والحديث يقول: آية المنافق ثلاث :-

١- إذا حدث كذب

٢ - إذا خاصم فجر

٣ - إذا اؤتمن خان

وهذه كلها أمور من الكبائر حتى أصبح قول الزور وشهادة الزور وتبجيل السلطان ومن يلوذ به بما ليس فيه آية هذا العصر وآفته لغياب الدين.

ومن أعظم حالات الجهاد، ما ورد فى حديث الرسول ﷺ أن (أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وحديث: سيد الشهداء حمزة (ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله).

**٥ - العمل:**

العمل فى سبيل لقمة العيش هو جهاد، فحين يسعى المسلم على الأرملة والمسكين ووالديه وعائلته فهو نوع من أنواع الجهاد، فالجهاد فى الإسلام صورة مشرقة قوية لأنه عمل يتفق والعقيدة الصحيحة، والبحث يخرج عن نطاق كتابنا الذى نردُّ فيه على الافتراء الغربى بنسب الدم للإسلام بدون سند موضوعى

**٦ - جهاد الكفار والمنافقين والدعوة إلى الله:**

من مراتب الجهاد أن يقوم الإنسان بالدعوة فى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتعليم الخلق ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)

ويتأتى ذلك بالصبر على مشاق الدعوة إلى الله ومواجهة الكفار

والمنافقين ودحض دعواهم، ومواجهتهم حتى يعلو بالتضامن والتكاتف ومواجهة النفاق والفتن، والجهاد في ذلك يتأتى بالمال والنفس وهوإذا قام به من المسلمين من يكفيهم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) رواه: أبو داود - رياض الصالحين.

فالجهاد هنا جهاد الدعوة والإعلام عن شرع الله.

**٧- الإبداع والجهاد الفكرى (الجهاد بالقول):**

قال رسول الله ﷺ :

"جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"

"وجاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم"

"ومن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان"

فالجهاد الفكرى أن يتوقد عقلك وتنميه بالاطلاع والمداومة على تنوع الثقافة، أن تبذل جهدك للنضال باللسان وقول كلمة الحق سواء في ندوة أو خطابة أوفي الصحف أو في كافة وسائل الإعلام.. جاء الشاعر الصحابى كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ متسائلا:

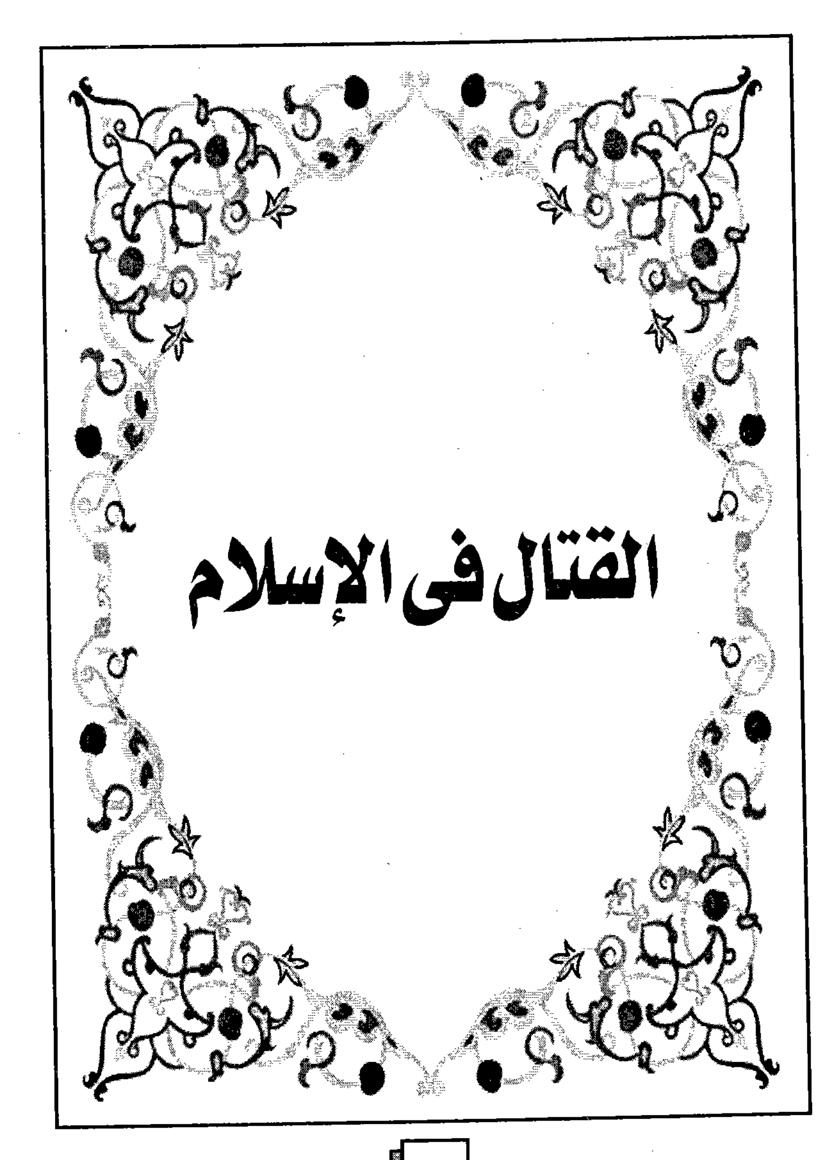
"الآن الله تبارك وتعالى، قد أنزل في الشعر ما علمت، ويقصد الآيات التي وردت في سورة الشعراء:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (٢٢٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ (٢٢٥) ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢٢٦) (الشعراء)

وقال: كيف ترى فيه؟

فقال النبى ﷺ: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه" رواه: ابن حنبل.

وهكذا نجد أن "الإبداع الأدبى" سواء فى الشعر أوغيره من الآداب فيه جهاد بالكلمة الصادقة والمعبرة والتى لا تخرج عن حدود الالتزام الدينى بغير إسفاف أوابتذال أوخروج على الآداب والأخلاق.



# القتال فى الإسلام



## حرمة حياة الإنسان والفساد فى الأرض:

من مقاصد الشريعة الإسلامية حرمة النفس واحترام حياة الإنسان، لأن لها فى الإسلام قداسة تامة ويُحرِّمُ ويجرم إراقة دم الإنسان بغير حق مشروع.. وفى القرآن الكريم ما يؤكد ويدعم ويفصح عن هذا الحق في جميع الشرائع السماوية بقوله:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّه مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة : ٣٢).

وقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٨).

وفى الحديث:

"من قتل دون دمه بغير حق فهو شهيد" أخرجه: مسلم فى الصحيح.

فالأديان كلها تُحَرِّمُ قتل الإنسان لأخيه الإنسان، ويعتبر الإسلامُ ذلك قتلاً للناس جميعا، فمن قتل دون حق فإنه شهيد، والقتل بالحق أمرٌ يحدده الشرع ويحكمه القانون الذى يحدِّد العقوبة للقتل، وفى عهد سيدنا على اتهم أحد المسلمين بقتل رجلٍ من أهل الكتاب فأمر بقتل المسلم رغم عفو ولى الدم عنه، إلا أن سيدنا على رفض وأمر بالتنفيذ ولم يمنع قتله إلا بعد أن تأكد بنفسه من سداد الدية فقبل عفو ولى الدم، وقال: للذمى حرمة فى الإسلام، ودمه حرام كحرمة دمنا وماله حرمة كحرمة مالنا.

## مفهوم الحق فى حرية الحياة الخاصة:

حق الشخص فى أن يحتفظ بالأمور لنفسه لا يطلع عليها الغير على ألا تتخذ هذه الأمور صفة العموم ويرى أن العديد من الحقوق التى يتضمنها الحق فى الخصوصية هومن حقوق الأفراد الخالصة، وبعضها من الحقوق المشتركة بين الله والعبد والشريعة الإسلامية لا تعرف الحقوق المطلقة إذ كل حق يعتبر بداهة بشرط عدم الإضرار بالآخرين.

وكل حرية فى الإسلام مقيدة بشرط عدم تجاوز الحدود المقررة شرعاً.

وهذا الذى استعرضناه من بعض الآيات القرآنية أوالحديث ما هى إلا قليل من كثير لتكوين العبد الربانى، ومنها دفع السيئة بالحسنة، والمجادلة بالتى هى أحسن، وآداب المحاورة والجدال والإنفاق على المحتاجين، وحسن التعامل فى البيع والشراء، فالعقيدة الإسلامية والأخلاق الإسلامية هى التى تكوِّن ذاتية الأمة الإسلامية.

فإذا أخذنا أى أمر من أوامر الإسلام أونواهيه ونظرنا من خلاله فى العصور المتعاقبة والأماكن المختلفة من الأمم والشعوب نجد أنه ينظم كل ما يمس حياة الإنسان بالنسبة لربه أونفسه أوغيره أوفى مجتمعه الصغير الذى يمثل أسرته أومجتمعه فى الوطن، وعلى هذا النمط كان القرآن دعوة هادئة إلى الخلق الحسن والحياة الكريمة، ولهذا النظام الخلقى خصائص ومميزات عديدة نذكر منها ثلاث خصائص مهمة

هى من أولويات الإسلام فى رسم المنهاج الخلقى الذى يتعيَّن اتباعه من نظام الحياة والذي يتلخص فى الآتى:

أولا :

إن ابتغاء وجه الله ونيلِ رضائه غاية منشودة فى الحياة الإنسانية ويجعل ذلك مقياساً سليما لا يقوم معه فى وجه الارتقاء الخلقى شئ يعوقه عن الارتقاء والتقدم، ويهئ بذلك للأخلاق من خشية الله ما يحث الإنسان على اتباعها.

ثانيا :

إن هذه الأخلاق والآداب ليست مبتكرة أوغير معهودة وإنما هى أخلاق إنسانية معروفة أورفع بعضها ووضع كل واحدة منها موضعها من الحياة الإنسانية وأحلها محلها اللائق بها من مسلك الحياة البشرية إذ إن للأخلاق أثراً متغلغلاً فى جميع نواحى الحياة ويعتمد عليها لانتزاع الشهوات والأغراض والمصالح فى إطار من الأخلاق الكريمة والآداب الحسنة(١).

ثالثا :

إنه يطالب الناس ويلتمس منهم إقامة نظام حياة ينهض بنيانه على الأمر بالمعروف ولا يشوبه شئ من المنكر حتى تعم الحسنات التى نظرت إليها الإنسانية فى كل زمان ومكان بنظرة الإكبار والإجلال.

وهذه دعوة لكل أبناء البشر لا يختص بها دين معين أوجنس معين

---

(١) - أبوالأعلى المودودى (ص٢٦) وما بعدها نظام الحياة فى الإسلام-.

أويدخل فيها لون أوعقيدة أوطائفة فهى دعوة للإنسانية جمعاء إذ تقوم على أساس التسليم بوحدانية الخالق التى تقوم عليها شريعة الحياة الإسلامية التى تذعن لحدود الحلال والحرام، وهما قاعدتان موضوعيتان كليتان يخضع لهما المسلمون فإنهم وهم أمامها سواسية بلا استثناء وعلى أرضها يقوم أساس السلوك الإسلامى.. ففى طبقات ابن سعد قول رسول الله ﷺ :

"تنام عيناى ، ولا ينام قلبى.. إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة" أخرجه مسلم فى الصحيح والبخارى فى الأدب المفرد.

فقواعد السلوك التى حتمتها رسالة الإسلام وصار عليها الرسول هى من أهم خصائص الإسلام، وهى جزء من العبادة فإن كانت الدعوة الإسلامية : عبادة ومعاملة فإن الإسلام لا يفصل بين الدين والأخلاق فإن الصدق وطاعة الوالدين والإحسان إلى المحتاجين، وترك إيذاء الناس، والنظام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدل فى الرعية أمور تلحق الإنسان فى الإسلام بالتقيد، بل هومؤمن بالتقيد العادى أحياناً، فإن معصية الأبوين كالشرك بالله تُدْخِلُ النار، وطاعة الأبوين فرض على الأولاد.

فالأخلاق والقيم الدارجة أساس من أسس الحضارة العربية التى يجب أن يهتم بها الإنسان لتحقيق السلام الذاتى والاجتماعى والعالمى، وهذا ما سجله اليكس كاريل فى كتابه :

(الإنسان ذلك المجهول إذ يرى أن الحضارة المعاصرة تفتقد الانسجام بين الروح والمادة، وأن الإنسان اليوم يعيش أسوأ أيام حياته، لأن العلوم المختلفة من طبيعة وميكانيكا وكيمياء.. الخ قد عجزت عن منحه الاستقرار النفسي والسلام الذاتي والاجتماعي والعالمي، وأنه لا خير في نظام يستبعد الأخلاق من حياة الناس، وأنه أولى بالإنسان أن يعنى بدراسة نفسه أكثر من أن يهتم بصناعة بواخر أسرع، وسيارات أجمل، وراديوهات أرخص، وأنه وإن استمر على هذا الحال، فإن الحضارة المعاصرة ستواجه الدمار إن عاجلا أو آجلا).

ويرى أرنولد توسيتي: ( ١٨٨٩ - ١٩٧٥ ) :

(إن مستقبل الإنسانية يتوقف على أخوة روحية، لا يمنحها سوى الدين، وهو الشئ الذى يحتاجه الجنس البشرى فى هذا الوقت)[1].

فلا خلاف فى الأديان على القيمة الأخلاقية والسلوك الجيد، وقد حرصت الأديان على ذلك وبالأخص الإسلام الذى يؤكد بتعاليمه الواضحة حرمة البيوت، ونهى عن التجسس وإفشاء الأسرار والغيبة والنميمة وحفظ الجار وعدم إيذائه أومضايقته، وقال للمؤمنين" عليكم أنفسكم" دون تدخل فى شئون غيركم وهذا هوالدين الحق.. فالدين المعاملة .

وخير ما نختم به عرض ما سبق عن القيم الإسلامية جاء فى كتاب

---

( ١ ) -كتاب تاريخ الفكر العربى ( الدكتور فروخ ص ١١٨ )

" دولة الباكستان " للبروفيسور شيروك وليمز بما سرده عن تقاليد الإسلام من :

(إنَّ هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقوِّم أواصر الوحدة العالمية بين جميع المؤمنين بغض النظر عن العنصر أواللون ، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه، وإغاثة المعوزين والمحرومين وبذل الحياة نفسها فى سبيل الصراط المستقيم... ومعاملتهم - من ثم - للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلوفى إثبات وجودهم والتصلب فى إعلاء تقاليدهم الحربية أوالوقوف موقف الإحجام والاعتداء).

ولوكان للعقائد، والأخلاق، وجواهر العبادات لا صورها مكان عتيد لضاق المحل دون تضخم توافه كثيرةٍ كان من المستطاع أن تكون "الأقليات" الإسلامية فى أوروبا وأمريكا واستراليا رؤوس جسور يعبر عليها الإسلام - وكل شئ هناك يتطلَّبه، ويهفوإليه - لوأن المسلمين يفقهون دينهم ويصنعون من أنفسهم ومسالكهم صوراً وسيمة له.

أما الاشتباك فى حرب حياة أوموت من أجل التصوير الشمسى أومن أجل نقاب المرأة ، فضلا عن حقوقها الطبيعية فلا نتيجة إلا الفشل[1]).

فالقتال فى الإسلام ، وبمعنى آخر الحرب لا للعدوان، إنما لحماية

---

(١) كتاب الشيخ محمد الغزالى ( مستقبل الإسلام خارج أرضه ) - دار الشروق ( ص ٤٤ ) .

الدين من أعدائه، وقد تحقق ذلك فى المدينة إذ نصر الله عباده المؤمنين، كما نبأهم القرآن الكريم وأعلمهم بذلك الوحى الإلهى.

وقد مرت الرسالة الإسلامية بثلاث مراحل منذ بدء نزول الوحى على النبى ﷺ حتى فتح مكة :

### أولا - الإعداد بمكة وإعلان الرسالة :

لقد أنزل القرآن فى البدء مخاطبا الإنسان بعد المسيح بحوالى ٥٦٠ سنة ميلادية، وكانت رسالته ونزول الوحى الإلهى على محمد ﷺ مسلما بكل الكتب السماوية السابقة على القرآن والقرآن معاصر لنزول الوحى وكتب فور نزوله فلم يُحرَّف، أما الإنجيل فقد كتب بعد جيلٍ كاملٍ من وفاة المسيح وتعدد الكتاب وكتابه إلى أن جاء القرآن قائلا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦)

فالقرآن يؤكد المكانة البارزة التى يحتلها الرسل فى شريعة الإسلام، وظل القرآن فى مكة ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاما.. يتعلَّمُ منها الإنسان المنهج الربَّانى.. يضعُ أسس العقيدة التى نزلت على السابقين، ويُصحِّحُ ما اعتراها من انحرافاتٍ وخرافاتٍ حشرت فى العهدين القديم والجديد، فكانت تشوهات وثنية وتحريفاً للكتب

المُقـدَّسـة ، أخـرجـهـا عن الوحى الذى تلقـاه الرسل من رب العـالمين بعقيدة التوحيد بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له المستحق للعبادة ، مـالك الملك يرزق الإنسـان ويميتـه ، الفـرد الصـمـد المعبـود لذاته ، وأن نخصَّه وحده بجميع أنواع العبادات ، وهذه رسالة الأديان ، ومنها الإسلام ، وفى هذا المجال يستوى الإنسان العربى فى ذلك بالإنسان فى أى مكان وزمان ، فشرائع الأنبياء كلها يحتويها قوله (لا إله إلا الله) لأن معناها خلع جميع المعبودات غير الله وإفراده وحده بالعبادة ويدخل فى ذلك الأوامر والنواهى القولية والعقلية والاعتقادية ، فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله ، الخلق والرزق ، الإحياء والإماتة ، وخير تعبير عن هذه المعانى هو فاتحة الكتاب بآياتها السبع ، لأنها تناولت أصول الدين واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال (العقيدة ، العبادة ، الإيمان باليوم الأخر) ففيها الثناء على الله جلَّ جلاله وإثبات الربوبية وتوجيه الحمد لله وشكره على نعمائه وعطائه للإنس والجن ، مـالك كل شئ واهب الحيـاة والرزق ، والوجود له وحده ، وسعت رحمته كل شئ مالك الجزاء والحساب يوم الدين هو وحده المعبود لذاته ، والذلة والاستكانة له وحده دون غيره ، لا سلطان بين الإنسان وربه ، ولا واسطة بينه وبين مخلوقاته لا كهانة ولا كهان ولا راهب ولا قسيس ولا حبر ولا غيره فالطلب منه والعون منه والصراط الذى رسمه لنا عن طريق رسله وأنبيائه من البشر ، فهو للصديقين الذين يهتدون ويترسَّمون صحيح الدين .

وقد وردت الآيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد إياك أعبد أوأتيقن لبيان ضآلة الفرد أمام الله، فالمناجاة لكل العالمين الموحدين يتجهون لله بالعبادة لأنه ولى النعم لهم أجمعين.

فكان القرآن المكى يفسر للإنسان وجود هذا الكون من حوله وأن لا إله إلا الله هو الطريق السوى فالدين قاعدته الألوهية الواحدة، فكل تنظيماته وشرائعه ترتكز على هذه القاعدة الألوهية الواحدة.. فإذا تربت النفوس واطمأنت إلى عقيدة التوحيد وتأهلت إلى أن تدخل محراب العبادة الحقة، وأن لا سلطان على النفس البشرية إلا لله وحده، تحرر العبد من داخله وهنا تكمن حرية الإنسان الحقيقية وأن لا خوف من عبد مخلوق أيا كان.

فالإسلام يواجه الإنسان بواقع عبوديته الحتمية لله عز وجل. ويفتح أمامه بذلك آفاق التحرر من آثار العبودية للآخرين، وليصده فى الوقت ذاته عن استعباد من يكون حوله من المستضعفين[1] وقد أبرز القرآن ذلك بما لا لبس فيه بقوله عزّ وجلّ:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

---

(١) - كتاب " حرية الإنسان فى ظل عبوديته لله " الدكتور محمد سيد الطوخى - دار الفكر المعاصر - لبنان ص (ص٢٦)

فالإسلام لم يتجه إلى الناس كشأن المذاهب الإنسانية الوضعية من فلسفية واجتماعية وأخلاقية والتى أخفقت قديما وحديثا فى ضبط سلوك المجتمعات وتوجيهها إلى ما هو الأليق والأصلح[1].

بل يبدأ الإسلام بالتوجه إلى فكر الإنسان بجملة من الحقائق والوقائع لا أكثر، تتعلق بذاته وقصة وجوده والكون المحيط به ووجود خالق واحد له وللعالم كله.

فإذا ما تنبَّه إلى هذه الحقيقة وصدَّق بها واستولت بسلطانها على مشاعره، كان ذلك إيذاناً له بأن يعيد النظر إلى ما كان قد وعاه وتصوَّره من أمر نفسه ويبدأ بالتعرف على هديه من جديد، وذلك على ضوء الواقع الذى أدركه واستيقنه بعد تأمل وبحث.

وقد كان هذا النهج القرآنى فى مكة تربية للنفوس وتكوينها على العقيدة الواحدة والقيم الأخلاقية الربانية حتى تستقيم وتمارس التكليفات التعبدية والتشريعية، وتدرَّج القرآن فى قواعد الحلال والحرام، فقد كان أساس التربية أن المجتمع يقوم على قاعدة[2] أن العبودية لله وحده فى كل أموره وشئونه، وهذه العبودية تتمثل فى التصور الاعتقادى وفى الشعائر التعبدية وفى التشريع والقانون.

قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ... ﴾(الأنبياء: ١٠٨).

---

(١) المرجع السابق (ص ٦٠، ٦٣)

(٢)- (الدعوة الإسلامية فى العهد المكى) مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية - الدكتور رءوف شلبى (ص٥٥٤)

وقوله تعالى :

﴿ لا تَتَّخذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (النحل : ٥١، ٥٢).

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣).

هذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والذي أسس جماعته الأولى عليها لتقبل مشاق العبادة بعد إعداد النفس البشرية التي تدين بالعبودية لله، فلا يهمها أي سلطان أوجبروت أينما كان على وجه الأرض ولا تدين بالعبودية لغير الله فلا تستذل لإنسان أيا كان ولا تخضع لمخلوقٍ حيثما كان فأعطت المسلم القوة، قوة الإيمان والعقيدة .

فالعقيدة في الإسلام هي التوحيد صافية دون التواء منذ البدء لذلك لم يفرض الإسلام من الأركان في البدء على المسلم إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حتى تستكمل الجماعة التكوين النفسي والإعداد الذاتي فلم تفرض الصلاة إلا في صبيحة يوم الإسراء والمعراج، وكان الرسول قبل فرضها يصلي كما كان يصلي سيدنا إبراهيم، لأن البداية تربية الروح والنفس الإنسانية لتهيئتها لتقبل الرسالة وفرض الفروض واتباع التكليفات إيماناً بسلامة الرسالة والعقيدة والتي تستمد من العبودية لله وحده.

## العبودية :

الإسلام يرتفع بالعبودية لله إلى مصدرها الأساسى وهى الفطرة التى خلق الله الإنسان عليها منذ ولادته والتى يستمد الإنسان منها حريته فى ألا ينصاع إلا لله وحده فى قوله وفعله وعمله، لأنه خالقه ورازقه وتدلل على ذلك الآيات القرآنية والأمثلة عليها :

﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (الطارق : ٥-٨) .

وقوله تعالى ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ (عبس ١٧-٢٢) .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٦ - ١٨) .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ (الروم :٥٤) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (فاطر : ١٥- ١٧)

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (الرعد : ١٠) .

## الذاتية الإسلامية:

عندما نزل القرآن في مكة لمدة ثلاثة عشر عاما كانت مهمته الأساسية تتلخص في أنه يُعرِّف الإنسان أولا بهويته ويطلعه على حقيقة ذاته ثم يدعوه إلى أن يكون في سلوكه الشخصي وعلاقاته مع الآخرين منسجما مع مقتضى هويته هذه، فالقرآن وضع الإنسان علما ودينا في موضعه الصحيح حين جعل تقسيمه الصحيح إنه ابن ذكر وانثى وأنه ينتمى بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية التى لا تفاضل بين الأخوة بغير العمل الصالح وبغير التقوى(١)

لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

إنَّ الإسلام دين يُسوِّى تسويةً كاملةً عادلةً بين المسلمين كافة في سائر الأرض عربا أوغير عرب مصريين أوعراقيين آسيويين أوأفارقة، فالإسلام في كل أنحاء الأرض واحد لا يختلف من بلد إلى بلد، فالمساواة أساس الإسلام فهو دين لكل القوميات، فالدول في الإسلام واحدة بلا استثناء بلا حاجة إلى روابط بخلاف الإيمان، لا يُفرِّق بين المسلم الذى آمن بعد بحث وروية لا يخضع فيه لسلطة الكهنوت، إنما الدخول فيه عن إيمان به ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فلا تملك أى جهة أوأى مخلوق إلصاق صفة المسلم بشخص

---

(١) - عباس العقاد - الإنسان فى القرآن الكريم - الهيئة المصرية للكتاب (سنة ١٩٦٦ ص ٥٧).

أو تفضيله على غيره أو إخراجه من دينه كما يحدث فى المسيحية مثلا.. فليس فيه حفلات قدسية لأحد ولا للنبى أو الصحابة فهم بشرٌ كغيرهم لا تميز ولا تعليمات أو أوامر دينية أو طرد من ملكوت السماوات بأمر بشرى.

فالإسلام يرفض التطرف والمغالاة، والعنف والتمرد والحيدة عن الحق والشطط فى العقيدة لأنه دين وسط وينزل بالمتألهين والمتكبرين من علياء جبروتهم ليقفوا على صعيد الإنسانية العامة مع أمثالهم من الناس، ويرتفع بالدهماء والمستضعفين بالمقابل عن مناخ الذل والهوان المتلبس بهم ليتلاقوا مع إخوانهم على صعيد الإنسانية العامة ذاتها، وهكذا يظلهم جميعا تحت مظلة العبودية لله عز وجل ويتجلّى فى تلاقيهم هذا معنى قول رسول الله ﷺ:

" كونوا عباد الله إخوانا "(١) وقد يسميهم باصطلاح الأسماء (أمما) كثيرة تباعدت بينهم المواطن وتحيَّزت بهم الحدود وشعَّبت بينهم العقائد واللغات ولكنهم قبل هذا الاختلاف أمة واحدة لها إله واحد هو رب العالمين فالمسلمون من كافة الاتجاهات كلهم مسلمون مهما اختلفوا فالله فى عقيدتهم واحد، وقبلتهم مكة، وكتابهم القرآن.

ومن هذه الأرضية الإلهية والتى عبَّر عنها الدكتور رؤوف شلبى فى كتابه "الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى" بتكوين الذاتية الإسلامية، وهى سلوك عمل قدَّم له الرعيل الأول إطاره الذى يعيه

(١) - الحديث ضمن حديث طويل أخرجه البخارى فى الصحيح.

العقل المسلم وتطبعه الجوارح الخاشعة ويُعبِّرُ عنها أصدق تعبيرٍ ما قرره سيدنا عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه :

"كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يتجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهنَّ والعمل بهنَّ" أخرجه البخارى.

نحن فى حاجة الآن إلى العودة إلى الذات الموجودة بالفعل فى قلب المجتمع ووجدانه، وتعتبر مادة ومنبعا من منابع الطاقة، الذات القائمة على الإحساس العميق بالقيم الروحية والإنسانية عندنا، والقائمة على أرواحنا واستعداداتنا، والموجودة فى نظرتنا للأمور، لكن الذى صرفنا عنها هوالجهل والانقطاع عن النفس، وجذبها إلى ذراتٍ مجهولةٍ، ..لكنها على كل حال لا تزال حية ذات حياة وحركة.

وهذه الذات الإسلامية، التى تنتسب إلى ثقافة إسلامية عظيمة، وينبغى أن نجعل شعارنا هوالعودة إلى الذات نفسها، لأنها الوحيدة من بين كل الذوات، وهى الثقافة الوحيدة التى لا تزال حية حتى الآن، وهى الروح والإيمان، لكن ينبغى أن يطرح الإسلام فى صورة إسلام باعث للوعى التقدمى، وقائم بالتنوير، حتى يبدأ من هنا هذا الوعى، وهومسئولية المفكرين ورجال الدين والعلماء فى كافة الاتجاهات الثقافية والعلمية، فيتبدَّلُ الجمود إلى حركة والجهل إلى وعى وإيمان بقدرتنا على العودة إلى الذات.[١]

### السلوك المطابق للقرآن:

فالمسلم عليه فى تفكيره وسلوكه وقيمه وعمله وحياته فى كافة

---

(١) – كتاب الدكتور على شريعتى – ترجمة د. إبراهيم الدسوقى.

اتجاهاتها سياسية أواقتصادية اواجتماعية أن يتمثل القرآن وأن يعيش أوامره ونواهيه وحلاله وحرامه والسنة وما جاء بها سواء تقريرية أوقولية أوفعلية طالما كان في إطار الوحي والدين، وقد جاء الحديث :

"رضيت بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً" اخرجه: البخارى ومسلم

وأساس هذا عبودية الإنسان لربه، وهذا يؤدى إلى نشر العدل والرضا بالبر بالإنسان أيا كان في مساواة تامة لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى بلا تعصب أعمى، لقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ولمعرفة الإسلام يجب أن ننظر إلى غايته ومبادئه القائمة على القرآن والسنة ومعرفة مقاصده، فالقرآن يبنى الإنسان نفسياً وعقليا وخلقياً ليغرس فيه القيم الإنسانية ويضع له المنهج فى حياته ويحدد علاقته بربه وبنفسه وبالآخرين فى العبادات والمعاملات وجعلت دعوته للفطرة التى نزل عليها ووضع لذلك قواعد العمل لبناء المجتمع القوى السليم الذى يتساوى ويتكافأ فيه الجميع لخير المجتمع والبشرية جمعاء، فكانت نقطة البدء التربية أولا ثم الدعوة ثانيا بجيل قادر على حمل عبء الرسالة فى مراحلها الأولى وخطواتها الوليدة.

وقد عالج القرآن المكى فى بدء الدعوة الشرك بالله ودعا إلى التوحيد وتعليم المسلمين الأوائل كيف يعبدون الله الواحد، ففى مكة لم يكن العرب ملحدين بل كانوا مدركين لوجود أرباب لهذا الكون

والشرك سائد ولهذا توجّه القرآن لتنقية العبادة وغرس الإيمان بالله وحده دون شوائب تلوث عقيدة التوحيد، وهذا واضح جلى فى آيات القرآن المكية لتهيئة النفوس لتقبل شرع الله بعد أن غرس فيها عقيدة التوحيد[1].

لقد كان رسول الله مثالا وأسوة لتطبيق مبادئ الدعوة سلوكا وعظمة تفسر عظمة الرسالة

فنرى الأحاديث المعبرة عن ذلك (إنما أنا رحمة مهداة) ، (من لا يرحم لا يرحم) أخرجهما : مسلم.

فكانت الرحمة خلق الرسول وسلوكه ، وقد ذكر ذلك القرآن بالآيات :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فقد كان خلقه ﷺ القرآن كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها.

---

(١) - الصفحات (٩٧-١٠٣) مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية (طبعة ١٩٧٧) كتاب الدعوة الإسلامية فى العهد المكى

والدلائل تتوجه إلى إثبات التوحيد وإلغاء الإسراف والكثرة فى الإيمان وإذا تأملنا هذه الآيات نجد أنها لإثبات صفات الله الموجود، فقال تعالى:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: ١٠-٢٠).

فالآيات تُنّزه الله جلّ شأنه عن الشريك وتضفى على العقل الإنسانى هيمنة الله الأحد وتعدد على عقول البشر نعمائه وآلائه

وتقرر أنه وحده جل جلاله المتفرد بتدبير هذه الآلاء وأن الذين يدعون من دون الله عجزة لا يخلقون شيئا بل هم مخلوقون خاضعون لسلطانه وجلاله ونستأنس هنا لتأكيد ما وصلت إليه هذه الدراسات في عدم وجود محاولة من القرآن نحو إثبات وجود الله وما تخيله بعض الناس استدلالا على وجود الله ليس إلا بيانا لمظاهر قدرة الله وعنايته بالعالم(١) وإذن فانحراف البشرية دائما إلى التعدد لا إلى الأفكار، والأفكار لم تنشأ إلا في العصور الحديثة، والله سبحانه يقول:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (العنكبوت: ٦١).

وإذا تصفَّحنا الأناجيل على ما هي عليه من التحريف والتبديل لا نجد فيها مطلقا ما يشير إلى مشكلة اسمها، مشكلة إثبات وجود الله.

وكذلك إذا تصفَّحنا التوراة على ما هي عليه من التبديل والتغيير لا نجد فيها مشكلة، اسمها مشكلة إثبات وجود الله، وإذا تصفَّحنا القرآن الكريم أيضا لن نجد فيه ذلك.

**الدعوة بالحسنى في البدء والصبر على الإيذاء:**

كانت المدرسة القرآنية تُربِّي القادة وتجردهم من كل هوى وشائبة لتخلص النفوس مما قد يعلق بها من أدران المجتمع الوثني وتخضعهم

---

(١) - من كتاب " الدعوة الإسلامية في عهدها المكي " - دكتور رؤوف شلبي " ص ٢٦٥ " - الناشر مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٤

لسلطان رب العالمين بما يتمشى مع التوجيه القرآني، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

فكانت الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى تتجنب صداما مسلحاً حتى تعطى فرصة كاملة لإبراز معالم وحقيقة الإسلام، ولذلك التزمت بالصبر الإيجابى الذى يزاول العمل فى إخلاص مع تحمل شدائد الأمور.

ولوسمح القرآن الكريم للجماعة الإسلامية بالدفاع عن النفس فى هذه المرحلة لما أمكن للدعوة أن ترى للناس على طول الحياة أنها دعوة لخير الإنسانية، ولكانت فى محيط الأسرة بين الولد ووالده والعبد وسيده والمرأة وزوجها، ولصح للكافرين يومها أن يقولوا محمدٌ ﷺ يُفرِّق بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه.

وليس ذلك الهدف ولا هوالمنهج كذلك، ولذلك أكد القرآن فى هذا العهد المكى ضرورة التحلّى بالصبر كمنهجٍ، وهوصبر إيجابى يزاول أعمال الدعوة مع تحمل أذى الكافرين(١).

وكانت الآيات القرآنية تحثُّ الرسول على الصبر وتحمل المشاق فى بدء الدعوة، فقال تعالى:

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

---

(١) – المرجع السابق (ص ٢٦٠-٢٦١).

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (النحل: ١٠٧).

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ (غافر: ٥٥).

وقد كان الرسول قدوة فى الصبر على إيذاء المشركين وتحمل ذلك بشجاعة وقدرة على مواجهة الشدائد وعندما طالبه عمه بالتصالح معهم على ما يريده الرسول ويحدده بنفسه من مال وكنوز واجهه الرسول ﷺ وقال:

"والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أوأهلك دونه" أخرجه: ابن هشام فى السيرة والطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى الكامل.

**الخلاصة:**

هذا الذى استعرضناه يفيد أن الوحى الربانى منذ بدء الخليقة الذى نزل على أنبيائه ورسله حتى خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ، تضمن تبصير الإنسان بالطريقة المثلى التى يجب أن يمارس بها أمانة الطاقات والصفات التى خلقت فى كيانه، وهذا هومضمون الدين منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا والمحور الذى يدور عليه والهدف الذى ينتهى إليه

إنَّ العمل للدعوة يرتبط بمنهج الصبر وتحمل المشاق، فالصبر جهاد والجهاد فضيلة، والصبر لون من ألوان الجهاد، وقد كانت الدعوة

الإسلامية فى بدئها فى حاجة إلى هذا النوع من الجهاد لتجرد المسلم من كل شهوة وهوى وتتأكد صلاحيته للعمل[1].

وقد جاء فى كتاب الدكتور رءوف شلبى الذى استرشدنا به فى تأصيل حالة الدعوة فى مكة قوله :

(إنها كانت فترة تربية وإعداد لقوم معينين وسط ظروف معينة هى ظروف المجتمع العربى الجاهلى الذى يؤثر فى حياته مواريث الآباء والأجداد، فكان من أهداف هذه التربية تدريب الذات العربية على الصبر واحتمال الشدائد التى لا يصبر عليها من الضيم على شخصيته ومن يلوذون به حتى يخلص جسده وعقله وقلبه ووجدانه لله رب العالمين، وحتى يتجرد من ذاته وذات من يلوذون به، فلا تكون الذات هى المحور لحياته ولا هى الدافع لتحركه فى وجوده.

وكانت كذلك تربية على أن يتبع أسلوب حياة جديدة تحت قيادة جديدة يرجع إليها فى كل شئ ويأخذ عنها جميع أمور حياته ولا يتصرف إلا وفق ما تأمره به مهما يكن الأمر مخالفاً لمألوفه وعاداته ومواريثه، وقد كان ذلك هوحجر الأساس.

وفى إعداد شخصية الرجل العربى لإنشاء نواة المجتمع الإسلامى الذى يخضع لقيادة موجهة من الوحى بعيداً عن السلطان البشرى متحلية بقيم جديدة وحياة خالصة لوجه الله، وجهادا[2] فى سبيل الله بدأت بإعداد الشخص ومجاهدته نفسه أولا وأهواءها وشهواتها

---

(١) عباس العقاد (الإنسان فى القرآن الكريم) - الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٦ ص ٥٧).

(٢) - المرجع السابق (ص٦٨).

وطموحاتها فغرست فيه القيم والجهاد الذى لا يرتبط بثمن يُقْبَض أورجاء يُنْتَظَرُ لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

فالإعداد والتربية أساس من أسس الإسلام لتكوين الفرد المسلم، وقد قال رسول الله ﷺ :

(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر الله فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ) أخرجه : البخارى فى الأدب المفرد.

فالقرآن فى مكة كان من أجل التوحيد لإزالة الشرك وتعليم الناس أن العبادة لله الواحد الذى لا شريك له ولا ولد.

فالمجتمع فى أم القرى وما يجاورها لم يكن ملحدا بل كان مشركا ، ولذلك كان توجه القرآن الكريم لتنقية الإيمان بالله من شوائب هذا الشرك وهذه الجماعة الأولى التى تعهَّدها القرآن الكريم والرسول بهذه التربية كانت لها سمات وخصائص قيادية تدرَّبت عليها وتعلَّمتها حتى إذا انتقلت إلى طورٍ جديدٍ بعد الهجرة لم تحتج إلى تنظيمٍ، فقد كانت مرحلة مكة مرحلة الإعداد والتربية.

وكان من مقومات هذه الخصائص قوله تعالى :

﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (الشورى: ٣٦ - ٣٨).

ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة، فهى تضع قواعد وأسسا تحمل خصائص المجتمع الذى تبنيه هى، بما لديها من أخلاق ومعرفة وسلوك تطبيقى أبرزت به العبودية الخالصة لله وأعلنت به سمات المجتمع الذى سيولد فى المستقبل إن شاء الله.

ومن الجدير بالملاحظة أن التمسك بالشورى بدأ فى العهد المكى، فهذه الآيات المكية تؤكد أن "وأمرهم شورى بينهم" مما يوحى بأن وضع الشورى فى حياة الجماعة الإسلامية أعمق من مجرد كونها فكرة سياسية، فالشورى طابع أساسى للجماعة الإسلامية كلها.

فالدعوة قامت فى البدء على التربية الدينية، وفى سرية تامة مثل الإعلان عنها لإعداد الكتيبة الأولى التى ستحمل لواء الجهاد فى سبيل الله بالدعوة والموعظة الحسنة حتى تتشرب الإيمان بالله وتؤمن بواحدنيته.

وتكوين الإنسان المسلم الذى لا يهاب إلا الله خوفاً من عقابه وطمعاً فى ثوابه، وفى سبيل ذلك يتحمل الشدائد ويصبر عليها، مع كبح الشهوات مما خلق النواة الأولى القوية للأمة الوليدة.

وقد بعثت هذه القيم الشجاعة فى قلوب المسلمين والاستهانة بالحياة فى سبيلها، فتحررت نفوسهم وحسنت سرائرهم، وقد اضطهدت قريش من اتَّبع الرسول ﷺ ليفتنوهم عن دينهم، وقد واجه المسلمون الإيذاء من قريش بعد أن علمت بالدعوة، وتنافس كفار مكة فى تجربة كل صنوف التعذيب وإيذاء من أسلم والتصدى

للرسول والرسالة وصبر المؤمنون على الإيذاء ولم يؤذن للرسول فى الر
أو الحرب، ولم تسجل فى مكة حادثة واحدة خلال الثلاثة عشر عام
للرد على عدوان الكفار، الذين تفننوا فى أنواع العدوان، ولم يكن
للمسلمين سلاح سوى الصبر ثلاثة عشر عاماً، وهى مدة ليست
بالقصيرة، إنها أكثر من نصف المدة التى عاشها الرسول بعد نزول
الوحى، وغاية ما جابه به هذه الغطرسة هو الإذن للبعض بالهجرة إلى
الحبشة مرتين، حتى يستقر الدين الجديد. واستمر الأمر هكذا إلى أن
أجمع الكفار على فكرة اغتيال الرسول ليخلّصوا مكة منه ومن
رسالته، فكان الإذن بالهجرة إلى المدينة بعد أن عقد الرسول اتفاقيتي
العقبة الأولى والثانية مع بعض أهل المدينة (رجالاً ونساء).

وكانت السنوات الأولى بمكة أساس دولة المدينة التى تمّ فيها غرس
العقيدة وتنميتها وإعداد الطلائع الذين قابلوا بأمر من الله السيئة
بالحسنة والأذى بالصفح والعنف بالصبر (صبر أولي العزم).

فالمجتمع الإسلامى الأول اعتمد على حقه الطبيعى فى أن يدين
بالعقيدة السمحة، متسلحاً بحيويته وإيمانه وصبره وثباته فى مقاومة
طغيان الكفر به.

## ثانيا- الهجرة إلى المدينة وجهاد المشركين:

دخل الرسول المدينة مهاجراً فى سبتمبر ٦٢٢ ميلادية بعد أن نجا
من الاغتيال بمعجزة إلهية، واستمر الخطر على حياته فى المدينة لمدة
خمس سنوات كتب فيها صحيفة المدينة، وهى الدستور الأول لوضع

سياسة الحكم ونظامه لتحكم مجتمع المدينة كلها تحت قيادته الموحدة وآخى بين المهاجرين والأنصار، كما وضع حداً للحرب بين الأوس والخزرج وانتهى القتال الدائم بينهما، فنشأ مجتمع العقيدة الإلهية من فئة قليلة آمنت برسولها نبيا بشرا مبعوثاً من الله رب العالمين ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص).

ثم تكوّن مجتمع المدينة ودولتها وأصبح بها جيش ودولة ممتدة حتى اليوم بإذن الله، وقد توالت الأحداث والمواجهات بين الكفار والمسلمين إلى أن كانت واقعة بدر ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠).

ومن هنا كانت الحرب دفاعاً عن المظلومين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وكان البدء في مكة والإيذان برد العدوان في المدينة لقوم جريمتهم أنهم آمنوا بالله واهتدوا إلي دين الحق، فكان وعد الله لهم بالنصر.. ألم يكن هذا قهراً وظلماً وعدواناً من كفار مكة يستوجب الرد من فئة قليلة وجهتها الله تعالى؟!.. فلم تكن الدعوة إلا بالحسنى وليست سعياً إلى الحرب ولذلك ترك المسلمون الأهل والمال في سبيل الله وهاجروا بعد إجحاف حقوقهم في وطنهم وتركوا

حياة الاستقرار فى سبيل الله، ولم تكن لهم وسيلة لكسب العيش فى تلك النقلة الفجائية وهم فى الأصل تجار وتركوا معاملاتهم وأموالهم ومساكنهم وراحتهم فى سبيل الله وانتقلوا إلى مجتمع جديد يعتمد على زراعة التمر، ولا معرفة لهم بذلك ؛ فكانت المؤاخاة بين الأنصار وأصحاب الديار والوافدين عليهم من المهاجرين الذين لا يملكون إلا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وآثرهم الأنصار على أنفسهم وأنزلوهم ديارهم وشاركوهم فى أموالهم حتى تنازل البعض عن نسائه لإخوانهم فى الله، صورة لم تتكرر ولن تتكرر فى تاريخ البشرية منذ بدء الخلق، هذا هو المجتمع الإسلامى الحقيقى الذى ينطوى على المحبة والإيثار على النفس. أكان هذا المجتمع الذى نشأ فى المدينة مفتريا أم أنه صاحب رسالة تحمَّل المشاق فى سبيلها ؟ !... أكان مطلوباً منهم الاستسلام للكفار والاستكانة لهم؟ ! أم رد العدوان والدفاع عن الدين الذى تركوا الأهل والمال فى سبيله؟ أيتركون أهل مكة ليقدموا عليهم فى يوم ما ليقضوا عليهم فى المدينة؟ أم يواجهونهم ويدافعون عن وطنهم الجديد ووطنهم الوليد لينشروا الرسالة بين مواطنيهم ويواصلوا جهادهم بعدما حملوا طواعية واختيارا رسالة السماء وقد أُذنَ لهم بالقتال فى سبيلها والدفاع عن النفس، ومهما اختلف الرأى حول الغزوات فإن الثابت يقينا أن القتال قد قُرر من منطلق الدفاع عن النفس ولدفع العدوان عن الدين الجديد للدفاع عن حرية العبادة مع تعدد الديانات، وقد جاء بسيرة ابن هشام - تعبيرا عن ذلك - قوله :

كان الرسول ﷺ قبيل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب؛ إنما يؤمر بالدعوة إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فمنهم من هو مفتون فى دينه ومنهم من هو معذب فى أيديهم، ومنهم الهارب فى البلاد فرارا منهم، ومنهم من هوبأرض الحبشة، ومنهم من هوبالمدينة، وتفرّقوا... ووعدهم الله بالانتصار على من ظلمهم بغيا عليهم، فكانت أول آية نزلت فى الإذن بالحرب والقتال لمن بغى عليهم فيما نقل عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قال الله تبارك وتعالى ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٣٩ - ٤٠).

أى إنَّ الله أحلَّ لهم القتال لأنهم ظُلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أنهم يعبدون الله.. وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر.

### أ- حرب كفار قريش:

والمتابع لسيرة الدعوة ومراحلها متيقن من أن الرسول ﷺ فرض عليه الآخرون الحرب، فرضتها قريش بعد فراره وصحبه من الأذى بمكة وهجرته إلى يثرب، وازدادت قريش بغضا للمسلمين، وتحرشا بهم، وتدبيرا للقضاء عليهم فى دارهم الجديدة، واستمالت العرب ليتعاونوا

معها للقضاء على الإسلام والمسلمين، وتعدَّدت محاولات الرسول فى مسالمتهم، ولكنهم أبوا إلا الاستمرار فى مناوئته.

وتوالت المعارك ضد المدينة من كفار قريش وبمعاونة يهود المدينة فكانت موقعة بدر وانتصار الرسول وصحبه بعددهم القليل على كثرة الكفار من قريش وأعوانها، وتلتها موقعة أُحد ثم موقعة الخندق (الأحزاب) والتى شجع فيها اليهود قريشا على غزو المدينة، ومعهم قبائل بنى أسد وبنى فزارة وبنى مرة وأشجع وغطفان، وتجمَّع الحلفاء ليضربوا المدينة الضربة القاضية وعلم المسلمون فتحصَّنوا بمدينتهم ولم يبادئوا أحداً بقتال، واقترح الصحابى سلمان الفارسى على الرسول ﷺ بالاستقرار بالمدينة وحفر خندقٍ حولها يحول بينهم وبين المهاجمين.

وكانت قريش فى شهر الحصار تتحرَّش بالمسلمين، وتستفُّزهم، ثم يئسوا من دخول المدينة، وانقسموا على أنفسهم، فرجعوا بغير قتال، وقد سجلت هذه الموقعة فى كتاب الله العزيز بنزول سورة الأحزاب والتى جاء فيها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٩-١١).

فالرسول فى جميع هذه المواقع الحربية لم يكن غازياً، بل كان

مدافعاً عن المدينة وعن الدعوة الإسلامية والدولة الإسلامية الناشئة في المدينة.

### ب- محاربة اليهود:

مرَّ الإسلام بمرحلتين :

الأولى : امتدت إلى ثلاثة عشر عاماً بمكة إلى أن انتقل المسلمون إلى المدينة، بعد مبايعة أهل المدينة (الأوس والخزرج) لرسول الله ﷺ في بيعة العقبة الثانية، وما تلاها من هجرة المسلمين إلى المدينة، وبدأت نشأة المجتمع السياسي الإسلامي بالمدينة.

وهذه الفترة هي التي وضعت فيها الأسس والضوابط التي تحكم الدولة الإسلامية، ونزلت فيها التشريعات في الشئون العامة والخاصة، وصار للمسلمين بالمدينة جيش ودولة، وبرز كيان الأمة الإسلامية، وتحدَّدت الأسس العامة التي تحكم مسيرة هذه الأمة الوليدة، وتصدَّر ذلك دستور المدينة (الوثيقة) التي كتبها الرسول ﷺ بينه وبين أهل المدينة في وثيقة بينه وبين المسلمين من جهة وبين غير المسلمين من جهة أخرى ومن بينهم اليهود لتعلن عن قيام الدولة وقيام السلطة السياسية برئاسته ﷺ وقد تناولت الوثيقة أوالدستور الأول في الإسلام وضع أسس المرحلة الأولى لنشأة الدولة الإسلامية ببيان حقوق الحاكم وحقوق الرعية ومبادئ تنظيم المجتمع والدولة .

وتضمَّنت الوثيقة في بعض نصوصها معاهدة بين المسلمين والقبائل واليهود المقيمين في يثرب .

وقد نشرت الوثيقة فى العديد من الكتب والمراجع[1] .

وفى مقامنا هذا فإن ما يعنينا من الوثيقة هوالجزء الخاص بالعلاق بين اليهود المقيمين فى يثرب وبين المسلمين سواء ما يتعلق بالبنو السياسية أوالعسكرية ومنها :

بسم الله الرحمن الرحيم :

١- هذا كتاب من محمد النبى رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش، وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم.

٢- إنهم أمة واحدة من دون الناس.

ثم ورد بعد ذلك بالبند ٢٥ من الوثيقة :

" وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، ولليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يرتع[2] إلا نفسه وأهل بيته.

ثم عددت الوثيقة فى البنود ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ القبائل اليهودية ومواليهم الذين تشملهم الوثيقة والتى حددت أساس المواطنة فى الدولة الإسلامية وليس القبلية أوالنسب أوالعنصر أوالعرق، ولم تقتصر الوثيقة فى تعريف المواطن

(١) كتاب الدكتور محمد حميد الله "مجموعة الوثائق السياسية " ص٣٩ - ٤٧)

(٢) يرتع : يهلك.

على أساس إسلامه وإنّما نصّت بصريح اللفظ على أن اليهود المقيمين في المدينة، يتمتعون بحق المواطنة وأن لهم من الحقوق والواجبات ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

وامتدَّ الحكم ليشمل المشركين من أهل المدينة وخضوعهم للدولة على أساس أنهم مواطنون لهم نفس الحقوق والواجبات التي للمسلمين أواليهود (بند ٢٠ فقرة ب) والذى قرر: (أنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن).

فالدولة التي أقامها الرسول ﷺ أظلت كل المقيمين في المدينة بسلطانها مع المساواة التامة في الحقوق والواجبات في المدينة أيا كانت ديانتهم لأن الإسلام لا يحارب، ولا يمانع التعددية الدينية لأنه "لا إكراه في الدين" فلكل أن يمارس شعائره ويتمتَّع بحقوقه كاملة على أساس المواطنة الكاملة، مادام ذلك لا يخل بأمن الدولة أوالمساس بكيانها أوالخروج على القانون أوالكيد لها أوالتجسس عليها لحساب قوى خارجية، وهذا أمر يحكمه قانون المواطنة. ومن يناقض هذه الوثيقة أوبمعنى أصح المعاهدة أوالدستور، فعليه وزر ما فعل، وقد أوضحت نصوصها ذلك بصريح اللفظ إذ جاء ضمن بنودها أن:

٣٦ ب - وأنه لا يتحجز [١] على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا.

٣٧- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن فيهم

---

(١) - حجزه: فانحجز: منعه وحال بينه وبين غرضه.

النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٣٨- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

٣٩- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٤٠ -وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ - وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

٤٢ - وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث (منكر) ، أو اشتجار يخلف، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره .

٤٣- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

٤٤ - وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

**نقض اليهود للمعاهدة:**

كان الشرط الأساسى فى المعاهدة (صحيفة المدينة)

ألا يلجأ الفريقان إلى أى نوعٍ من أنواع العمل العدوانى وألا يساعد أحدهم عدوالآخر ، وبهذه المعاهدة اطمأن الرسول وعامة المسلمين إليهم وبدأ الاختلاط بينهم وبين المسلمين يسوده الود والصداقة، ولكنهم بدءوا فى الخفاء لا يحترمون شروط المعاهدة، ويتصلون بقريش ويبلغونهم سراً أخبار المسلمين .

## أ- يهود بني النضير:

جاء فى كتاب المغازى :

(كان بنو النضير قد دسوا إلى قريش وحرضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العداوة)[1]

ولم يكتف يهود بني النضير بهذا ، بل حاولوا قتل رسول الله ﷺ عدة مرات فقد طلبوا أن يبعث ثلاثة من أصحابه ليكونوا مع ثلاثة من علمائهم ويتحاورون معا فى أى الدينين أحق أن يتبع ، ووافقهم رسول الله ﷺ ثم علم الرسول ﷺ أن فى الأمر مؤامرة منهم، أضمروا قتله عند حضوره إليهم، والوسيلة تخبئة خناجر فى طيات ثيابهم والانقضاض عليه عند حضوره ومعه الصحابة فأعرض عن الذهاب .

ولم يكتفوا بذلك، بل عاودوا مرة أخرى التفكير فى قتله ﷺ إذ حاولوا مرة أخرى استدراجه إلى حيهم بشتى الوسائل، وقد طلبوا منه الحضور إليهم ليبحثوا معه أمر دية رجلين من بنى عامر، واتفقوا فيما بينهم على قتل الرسول ﷺ بأن أشاروا على أحدهم أن يصعد إلى سطح البيت الذى يجلس بجانب حائطه الرسول ويلقى عليه بصخرة وعلم الرسول بخطتهم فترك المكان[2] .

---

(١) - فتح البارى جـ ٧ ص ٣٣٢ .

(٢) - الطبرى ط مصر جـ٣ ص ٣٧ - فتح البارى جـ٧ ص ٣٣٢ - فتوح البلدان ص ٢٤

ومع هذا عاملهم الرسول ﷺ معاملة طيبة، وأرسل إليهم تحذير عن طريق محمد بن مسلمة، أخبرهم فيه بأنهم غدروا به، ولهذا فعليهم أن يخرجوا من المدينة خلال عشرة أيام أويقاتلوا حتى يجبروا على الخروج، سيما أنهم عاهدوا الرسول ﷺ على أن يشتركوا في الدفاع عن المدينة إذا أغير عليها، ولكنهم تخلَّوا عن الوفاء بعهدهم في غزوة أحد ونكثوا عن تنفيذ العهد والمشاركة فى صد المغيرين على المدينة .

موطن اليهود والمسلمين :

وإذ رفضوا الخروج مسالمين من المدينة حاصرهم الرسول فاستجابوا للخروج من المدينة، على أن يحملوا معهم أموالهم فقبل الرسول شروطهم وخرجوا إلى " أذرعات " بالشام سالمين لا بأنفسهم فقط بل بمتاعهم أيضا، ولم يصبهم أذى، وهذا التصرف لا يصدر إلا عن شخص لا يهدف إراقة الدماء والغزو بل يهدف إلى دفع شرهم داخل المدينة، ولكنهم بيتوا فى أنفسهم أمراً آخر واستمروا يحرضون العرب على الرسول وبعد سنتين جمعوا جيشاً جراراً قوامه ٢٤ ألف مقاتل وحاولوا الهجوم على المدينة .

**ب - بنوقريظة:**

كانوا من بين اليهود الموقعين على صحيفة المدينة، وبعد إخراج بني النضير من المدينة دعا رسول ﷺ بنى قريظة إلى عقد معاهدة لتجديد المعاهدة القديمة وعقد معهم معاهدة خاصة أثناء حرب المسلمين مع بنى النضير، وكان من الواجب بعد توقيعهم المعاهدتين

ألا يشتركوا بأى شكلٍ أوصورةٍ فى أى عملٍ ضد رسول الله ﷺ وأصحابه لكنهم تحيَّنوا غزوة الأحزاب حين اتفقت قبائل العرب بتحريض من بنى النضير على الهجوم على المدينة للقضاء على الإسلام والمسلمين.

قام بنوقريظة بتحريض حُيَى بن الأخطب النضرى بفسخ المعاهدة علانية، واشتركوا فى القتال ضد المسلمين علانية[1].

ووصل الأمر إلى رسول الله فأرسل اليهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما، لينصحانهم بالوفاء بالعهد لكنهم أعلنوا صراحة وبوضوح إلغاء المعاهدة بين الطرفين، ومن ثم أصبحت المدينة محاصرة من جهتين، جهة تحاصرها قريش وغطفان وغيرهما، وجهة أخرى هى جهة بنى قريظة الذين نقضوا العهد وحاربوا مع الأعداء.

ومن المخاطر التى وقعت آنئذ أن المسلمين أرسلوا نساءهم لحمايتهم أثناء القتال فى قلعة تقع فىٍ متناول يد بنى قريظة مما أثار الاضطراب فى صفوف المسلمين خشيةً من الهجوم على النساء والأولاد، وشاء الله النصر للمسلمين وزال خطر الهجوم الخارجى، فأمر رسول الله ﷺ بمجاهدة بنى قريظة، وهدم قلاعهم، وحين شعروا ألا محالة من هزيمتهم أرسلوا لرسول الله أنهم يقبلون تحكيم سعد بن معاذ فى حقهم، وكان حليفاً فى الجاهلية لبنى قريظة، وقد قرر بأن يقتل البالغون، وأن تؤخذ النساء والأطفال سبايا، وأن تقسم الأموال على

---

(١) – ابن الأثير ط. مصر جـ ٢ ص ٦٧ فتح البارى جـ ٧ ص ٢٨٠

المسلمين ونفذ الحكم، جزاء غدرهم ونكوثهم فى العهد وفسخ المعاهدة ومحاربة المسلمين من داخل المدينة وتحالفهم مع العدوالخارجى تظلهم شريعة الحرب ونزولا على حكم محكم ارتضوه.

## جـ- بنو قينقاع:

حنقوا[1] على النبى ﷺ عندما انتصر فى بدر وأخذوا يبيتون الشر، ولم يكتموا ما بأنفسهم وقالوا للنبى يا محمد، لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

وبدءوا يتحرّشون بالنبى ﷺ فحاربوا بعض حلفائه فيما بين غزوتى بدر وأحد، واعتدى صائغ منهم على امرأة مسلمة فى سوقهم عدوانا قبيحا، فقتله مسلم، فوثب اليهود على المسلم فقتلوه، واحتدم الشر بين المسلمين واليهود، فكان جزاؤهم اجلاءهم عن المدينة [2] .

وفى هذا المقام الذى بينا فيه غدر اليهود ونقضهم للمعاهدات ومحاولتهم قتل الرسول لا ننسى ما وقع من امرأة منهم عندما قدمت للنبى طعاما مسموما، فلما ذاقه عافه، وعرف أنه مسموم فسأل المرأة، فلم تنكر، وادعت أنها كانت تختبر نبوته، فعفا عنها وهويعلم أنها كاذبة ولم يقتلها بعد إلا لأن واحداً من المسلمين أكل من الشاة المسمومة فمات من أثر السم فقتلها النبى قصاصاً لهذا الذى قتلته..

---

(١) -حنقوا : اشتد غيظهم .      (٢)- سيرة ابن هشام ٢ / ٤٢٦

فاليهود مسلسلهم مع الرسول ﷺ فى المدينة يتسم بالغدر والخداع والجبن ونقض المعاهدات وتحين الفرص للانقضاض على المسلمين بالمدينة، فهم أخطر من العدو المهاجم من الخارج والذين تحالفوا معه وناصروه على المسلمين، بل وحرّضوهم فى حالات كثيرة وحاولوا تجميعهم خيانةً لأهل المدينة الذين تحالفوا معهم، فكان جزاؤهم ما حدث لهم وأوجب ضرورة إخراجهم من المدينة لخروجهم على الحدود والقواعد والضوابط التى وضعها الإسلام فيما يتعلق بالحروب والأمور الخاصة بها، وبالأخص، الالتزام بشروط المعاهدات، والتى لا يجوز تجاوز شروطها وفى الحديث :

" لعلكم تقاتلون قوما فتظاهرون عليهم فيتقونكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم " رواه : أبو داود والدارقطنى بإسناد صحيح.

وفى حديث اخر :

" يتصالحونكم على صلح، فلا تصيبوا منهم فوق ذلك فإنه لا يصلح لكم "

وقوله أيضا ﷺ :

"ألا من ظلم معاهدا أوانتقصه أوكلفه فوق طاقته أوأخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيمة " رواه : أبو داود.

## ثالثا - فتح مكة :

خرج الرسول ﷺ فى جماعة المسلمين سنة (٦هـ) ليعتمر،

متوجها إلى البيت الحرام، لأنه بيت العرب من مسلمين ومشركين، وليس لقريش أن تمنع زائراً عنه فى الأشهر الحرم، وخرج من المدينة ومعه أصحابه حوالى ألف وأربعمائة لا يحملون سلاحا إلا ما يحمل المسافر، وساقوا الهدى أمامهم إلى فقراء مكة .

ولمَّا علمت قريش خرج إلى وادى بلدح حوالى مائتى فارس طليعة لها، ليصدوا المسلمين عند عسفان، فلمَّا علم النبى ﷺ بهذا قال :

"يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوه، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة .

فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أُجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهر ذلك، أوتنفرد هذه السالفة "(١) .

وحرص الرسول ﷺ، على السلام فأمر أصحابه أن يعدوا عن طريق فرسان قريش حتى لا يتقاتلوا، فساروا إلى أن بلغوا الحديبية ونزلوا بها بالقرب من مكة، وكرر النبى عليهم رغبته فى حقن الدماء بقوله :

"والذى نفس محمد بيده لا تدعونى قريش لخصلة فيها صلة الرحم إلا أجبتهم إليها"

ثم استمرت الرسل بينه وبين قريش قائلين عنه: إنه لا يريد حربا،

---

(١) - أى بتر عنقى

إنما زيارة البيت، وإنه يرغب فى إقامة هدنة بينه وبين قريش، ولكن قريشاً أصرت على الرفض حتى قال سفيرهم الثالث إلى النبى لهم:

"سبحان الله ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا، أتحج لخم وجذام وحمير ويمنع من البيت ابن عبد المطلب؟ هلكت قريش ورب البيت، إن القوم أتوا معتمرين.

فقالوا: اجلس إنما أنت أعرابى لا علم لك بالمكايد.

ثم بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان إلى قريش لمكانته بينهم للتعرف على سبب منعهم المسلمين فحبسوه عندهم لمدة ثلاثة أيام، واعتقد المسلمون أنهم قتلوه، وزاد الأمر اشتعالاً بين المسلمين أن قريشاً أرسلت فى هذا الوقت خمسين رجلاً ليطوفوا بالمسلمين، لعلهم أن يصيبوا منهم عزة فلما رمى هؤلاء بالنبال والحجارة فى معسكر الرسول، أسرهم حراس المسلمين، وأتوا بهم إلى الرسول فعفا عنهم، وأخلى سبيلهم وقفلوا عائدين إلى قريش.

وهكذا أعلن النبى مرات عديدة لسفرائهم الثلاثة الذين أوفدوهم.. وباخلاء سبيل أسراهم، أنه لا يريد الحرب وإنما يؤثر السلام فى صراحةٍ ولا مواربة فيها، ولا خديعة من ورائها، وإذ أشيع قتل عثمان بن عفان دعا الرسول ﷺ المسلمين إلى مبايعته على قتال قريش فبايعوه، على الموت تحت شجرة فى الوادى وسميت هذه بيعة الرضوان التى نزلت فيها الآية ١٨ من سورة الفتح:

﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ .

وأيقن كفار قريش أن المسلمين بعد أن فقدوا الأمل فى دخول مكة بلا حرب ، قد قرروا الحرب ، أرسلت قريش وفدا إلى الرسول ﷺ على رأسه سهيل بن عمرو خطيبهم المفوه يحمل شروطها للموادعة والتى تضمنها اتفاق الهدنة وسمى صلح الحديبية بالنص الآتى :

(باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .. اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه وأن بيننا عيبة مكنونة وأنه لا إسلال وإغلال ، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فأقمت بأصحابك . فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها)

وهذه شروط متعسفة ، أرادت قريش أن تظهر المسلمين بمظهر المهزوم ، وقد قبلها النبى ، ودهش بعض أصحابه من قبولها ، ولكن النبى كان أبعد نظرا ، وتجلى بعد نظره بعد زمن قصير ، إذ تجمع الذين حبسوا بمكة حول أبى بصير بن عتبة بن أسيد ، وكان عددهم سبعين

رجلا، وتربصوا بقريش بالعيص فى طريق تجارة قريش إلى الشام، وقطعوه عليها، وإذا ظفروا بأحد من قريش قتلوه، ولم تمر بهم عير إلا سلبوها، فطلبت قريش من النبى أن يلغى الشرط الذى يقضى بأن من جاء إلى محمد من قريش بغير إذن وليه رده، ومن جاء قريشا من محمد لم ترده، واستحلفته بأن يؤوى تلك المجموعة، لأنها لا حاجة لها بهم، فآواهم رسول الله.

لَّما لم تحترم مكة الصلح بأن اقتتلت خزاعة وبكر، وقد احترم الرسول الصلح مع كفار مكة إلى أن نقضوا صلح الحديبية. ولم تراع قريش الاتفاق والهدنة وناصرت (بكر) ضد (خزاعة) حلفاء المسلمين، بل وقاتلوا خزاعه مستخفين بالليل، وقتلوهم داخل الحرم حين لجأوا إليه، فأرسلوا إلى النبى وفدا أخبره بما حدث فتجَّهز سنة ٨ هـ لمناصرة حلفائه وفاء بعهده لهم، فدخلها سلماً لا عنوة، لأن كثيراً من زعمائها كانوا قد أسلموا من قبل، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، كما أسلم زعيم المشركين أبوسفيان والمسلمون على أطراف مكة.

فماذا قال الرسول ﷺ لأهل مكة بعد أن دخل المسلمون مكة؟ وماذا فعل الرسول بهم إذ لم يحاربوا واستسلموا وماذا قال الرسول ﷺ لهم؟ هل انتقم الرسول ﷺ من أهل مكة؟ هل أراق الدماء وملأ بها شوارعها وحواريها ؟ يقول التاريخ : لقد كان سمحاً رؤوفاً كريماً معهم حتَّى أبوسفيان قائد الشرك أمَّنه وقال: من دخل بيت أبى سفيان فهوآمن ثم عفى عمَّن أخرجوهم من وطنهم بعد الإيذاء والتآمر لاغتيال الرسول ﷺ فقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء، إن الرسول كان

يحارب أئمة الكفر لا أهلِ مكة، والذين استجابت قلوبهم للإسلام فدخلوا فيه طواعية واختيارا .

هذه صور الجهاد فى الإسلام، وما الحرب إلا صورة من الصور المتعددة لدفع الضرر أوصد العدوان الذى يقع على المسلمين بشأن عقيدتهم الدينية. ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس ٢٥)

وبعد فتح مكَّة تمَّت حجَّة الوداع للرسول ﷺ فى السنة التاسعة للهجرة (٦٣٢ ميلادية) ونزلت الآية الكريمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣)

"ومن ثم فليس هنالك قتال دينى ولا حرب دينية اللهم إلا من حيث كونها أداة سياسية يقف استخدامها عند حدود حماية الدعوة وحرية الاعتقاد بها من عدوان المعتدين وحرية الدعاة إليها "(١)

وكما قال الإمام محمد عبده : " ليس فى جوهر الدين ولا من مقاصده إنما هومباح له .. وهولذلك أمر سياسى تقتضيه الضرورة ولا يطلب لذاته " .

## رابعاً- مقدمات الحرب خارج الجزيرة العربية:

راسل الرسول ﷺ الدول المحيطة به برسائل يدعوهم للإسلام لأنه دين للكافة وليس للعرب وحدهم، فهودين دعوة ورسالة للبشرية

---

(١) (الإسلام والحرية الدينية) سلسلة أقرأ للدكتور محمد عمارة (ص ٢٦).

جمعاء بما يحتويه من تعاليم دينية وسلوك وقيم وقد كان الرومان والفرس أكبر أعداء هذه الدعوة ويشكلون القوتين المتحكمتين فى العالم آنذاك ويحتلون رقعة هائلة من أرض العرب ، فكان لابد من تحطيم الجهاز الحربى لكلا الدولتين فى آسيا وأفريقيا ، وهذا ما قامت به الجيوش الإسلامية ولم يحدث أن العرب قبل الحرب عرضوا على القوم السيف أوالإسلام، إنما كان الغرض هوتعليم الناس بدينهم على أن يؤدوا الجزية وهى ضريبة دفاع ومبلغ زهيد ، لأن الجيوش الإسلامية كانت تصد العدوان عن الدول وتقوم بالدفاع عنها ، فالجهاد الحربى كان للدفاع بلا تهديد ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة ٨ - ٩ )

وقد كانت أيام الرسول هناك صور للعدوان على العرب من الفرس والروم مما أدى إلى وجود مقدمات للحرب خارج الجزيرة العربية ، وقد حاول كسرى وبعث عيونه للوصول إلى الرسول ﷺ حياً أوميتاً وكانت العيون الخارجية ترصد الحدث الجديد الذى وقع متاخماً لحدود الدول الكبرى وهوأمر معروف ومسلم به حتى اليوم ، إذ لا تترك الدول الكبرى الدول الصغرى وحالها تنمو وتتطور فى سكون ، فالغزو الاستعمارى منذ بدأ الخلق إلى اليوم مستمر ، وإن تغيرت أشكاله وأهدافه بصوره المتنوعة حسب ظروف العصر ، ومن أفضل ما كتب

متناولا ابتداء الحرب بين النبى والروم وأنصارهم من العرب رواية الكولونيل فردريك بيك في مؤلفه[1] (في عام ٦٣٧ / ٦٣٨م (٦ هـ)).

استشهد أول مسلم في شرق الأردن بسبب إسلامه، ذلك أن عروة بن عمر الجزامى عامل الروم على (عمان) كان قد اعتنق الدين الإسلامى وأرسل مع مسعود الجزامى بعلاً أشهب وفرسا وحمارا وأقمصة كتابية وعباءة حريرية هدية للنبى ولمّا بلغ ذلك الرومان حاولوا عبثاً إقناع عروة ليرتدَّ عن إسلامه فأبى فما كان منهم إلا أن سجنوه ثم صلبوه على ما يقال له (فحوى) بفلسطين. وفى تموز (يوليو) عام ٦٢٩م (٨ هـ) جهَّز النبى كتيبة من خمسة عشر رجلا إلى حدود شرق الأردن، ليدعوا الناس إلى الدين الحنيف وليستطلعوا أخبار الروم وحوادثهم، فخرج عليهم جمع غفير في مكان بين (الكرك) و(الطفيلة) وقتلوهم كلهم إلا واحداً لاذ بالفرار، وفى نفس الوقت أرسل الرسول ﷺ رسولا اسمه الحارث بن عمير إلى دير غسان فى سوريا يدعوه إلى الإسلام، فقبض عليه شرحبيل بن عمر سيد قومه وهى قرية بجوار الكرك وقتله، وحوالى هذا الزمن أيضا وصلت رسل النبى من الشمال تحمل الاستعدادات الحربية على تقدم الولايات الرومانية، ووجود (هرقل) وجيشه فى الكرك مع حلفائه.

كل هذه الأسباب جعلت النبى يجهِّز المسلمين ويعمل على بعث

---

(١) - كتاب شرق الأردن للكولونيل فردريك بيك ص ٨٥

حملة إلى جنوب شرق الأردن للانتقام من قتلة الحارث، وليختبر قوة أعدائه واستعدادهم وليعرف أسباب تجمعهم على الحدود الجنوبية.

وفى أيلول (سبتمبر) عام ٦٢٩م (٨ هـ) جمع النبى ثلاثة آلاف مقاتل قرب المدينة ليسيرهم نحو سورية وأمَّر عليهم زيد بن حارثة، فإن قتل فالأمير جعفر بن أبى طالب فإن قتل فالأمير عبد الله بن رواحة فإن أصيب فليرتضِ المسلمون برجل من بينهم يحملونه أميرا عليهم، وقد قاتلهم الروم بجيش كبير وقتل الثلاثة فى قرية (مؤتة) بجوار الكرك، وتولّى خالد بن الوليد القيادة وانسحب بالجيش إلى المدينة.

ويُعلِّق المرحوم عبد الرحمن عزام[1] علي ذلك قائلا: " ولو كان السيف وسيلة الدعوة ما كان الناس خياراً، وما آثر أى إنسان فى البلاد المفتوحة دينه بدينار وبنصف الدينار، والدين الذى لا يساوى عند صاحبه ديناراً فالإسلام أولى بصاحبه منه، فهل يتصور أن قوماً يبيعون دينهم وعروبتهم ووطنهم بنصف دينار يدفعه القادر منهم، وليس على الأطفال ولا على العجزة ولا الرهبان ولا القسيسين.. فلا شك أنَّ الذين جاءوا إلى الإسلام بعد الخيار بينه وبين الجزية وجدوه أحب إلى أنفسهم مما كانوا عليه ".

إنَّ دلالة دخول الناس فى الإسلام هى تسامح الدين الإسلامى

---

(١) - كتاب الرسالة الخالدة - عبد الرحمن عزام ص ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧ الطبعة الثانية

ومعاملته للناس جميعا بمساواة تامَّة لا فرق بين عربى أوأعجمى إلا بالتقوى، الكل أمام الله سواء، وهذا التسامح حثَّ الناس للدخول فى الإسلام وأدَّى إلى انتشار الإسلام، وقد ذكر ذلك من الغرب بعض المؤرخين المنصفين، وقد جاء بكتاب فردريك المرجع السابق(١).

رواية تدل على ذلك وهى: (وأن أسرة مسيحية تدعى العزيزات فى مؤتة، فلمَّا قدم جيش الإسلام فرح أخوان من هذه الأسرة للقائه وفتحا باب القرية، وقدَّما له الطعام والشراب ثم اعتنق أحدهما الإسلام، وبقى الآخر على نصرانيته، فأمر النبى ألا يستوفى منهما ولا من أعقابهما جزية ولا خراجاً، وظل أمر النبى نافذا مدة ألف وثلاثمائة سنة، وقد أسلم أكثر هذه البلدة رغم دفع الجزية.

وفى عهد عمر بن عبد العزيز عندما أرسل له والى مصر شاكياً إقبال أهل مصر على الإسلام، وبالتالى فإن إيرادات الجزية ستتناقص، وأنه يرى استمرار من أسلم فى دفع الجزية فردَّ عليه عمر بن عبد العزيز:

(قبَّح الله رأيك، وما بعث الله محمداً جابياً ولكن بعثه هادياً).

فالإسلام دعوة لله وليس حرباً ضروساً بلا ضمير، وإنما هى دفاع عن العقيدة ضد العدوان عليها ممن يتربَّصون بها.

وفى مقدمة كتاب السيدة " أرمسترونج " كتب المترجمان(٢):

(إنه من خلال سرد أرمسترونج لوقائع حياة الرسول فى المدينة،

---

(١) - المرجع السابق

(٢) - كتاب " محمد " كاترين ارمسترونج.

ومحاولته إقامة مجتمع عدل وكفاية تبيَّن أنه فى جوهره يحقق للمشيئة الإلهية وأيضا من خلال عرضها لغزواته ومعاركه الحربية، تقدم الكاتبة مفهوما جديداً للجهاد يختلف عن مفهوم الدعاية الغربية المسمومة المحمومة بخلاف المسيح، الذى قضى حياته مبشراً سالماً بالرسالة السماوية، خاض محمد معارك إيجابية واعترك فى الواقع ليردع الظلم، ويدفع العدوان أى أنه وبلغة اليوم، قدَّم المثال على العمل الإيجابى، وذلك الأسلوب الذى يتبناه الغربيون لتحقيق العدالة ومقاومة الظلم والتحديات.

فحروب الإسلام كانت دفاعية، رداً للعدوان، بالإضافة إلى كونها وسيلة لغرض "السلام الإسلامى" الذى أمكن فى ظله وقف حمامات الدم وإقامة مجتمع عادل أساسه القيم الرفيعة، إذاً فالجهاد هو النضال المستمر ضد الذات وضد الآخر من أجل تحقيق الإرادة الإلهية والعمل لإسعاد البشر، إذ إن الإسلام لم ينتصر ولم ينتشر عن طريق السيف، ولم تكن الحرب وسيلة أوهدفاً له قط، وعلى عكس ذلك فهو دين الاستمرارية مع الماضى، وعقيدة سلم وتسامح. ومن ملامح الكتب المؤلفة المذكورة عن حياة المصطفى ﷺ فإنها تقرُّ أن القرآن علمنا أن الحرب دائما أمر بغيض وأنه لا يجب على المسلمين أن يبدأوا بالعدوان لأن الحرب العادلة هى التى تشن للدفاع عن النفس فقط، ونجد أنه متى دخل المسلمون الحرب فعليهم أن يقاتلوا بالتزام مطلقٍ، لكى ينتهى القتال فى أسرع وقت ممكن، وإذا اقترح العدوهدنة، أوأبدى استعداداً للسلم فإن القرآن يأمر المسلمين ألا تكون شروط

السلام غير أخلاقية أومخزية لكن القرآن يؤكد أن إنهاء الصراع بالحرب أمر مقدس ويجب أن تتم مواجهة العدوبحزم، فهدف أى حرب فى الإسلام هوإحلال السلام وفى هذا جاءت آيات القتال فى القرآن لتهدينا إلى أسس الحرب والسلام.. وقد استطردت الكاتبة إلى أن قررت النتيجة النهائية بالكتاب[1] من أنه: (بعد وفاة محمد ﷺ كان النجاح المستمر للمشروع الإسلامى مبرراً للجهل السياسى، وغدا برهاناً فى أن إعادة تنظيم المجتمع وفقا لمشيئة الله تؤدى إلى سيادته، فما لبثت الجيوش العربية أن أسست إمبراطورية استمرت من جبال الهملايا حتى جبال البرلس، وفى البداية كان ذلك يوحى برغبة العرب فى بناء إمبراطورية أكثر من كونه إيحاء من القرآن ورغم ذلك لم يحاول العرب إجبار الشعوب على اعتناق الإسلام.

(١) - المرجع السابق لكاترين أرمسترونغ ص ٣٨٤

# التصور الإسلامي للحرب

ليست الحرب فى الإسلام هدفا لذاتها، لأن الهدف منها هوالحفاظ على حق مشروع أودفع فسادأو دفع شر، وتكون محكومة بضوابط أخلاقية، وإطار دينى وأسس موضوعية، وتعاليم ربانية، لا تخرق حقوق الإنسان وتحافظ عليها أثناء الحرب وفى الحديث:

" لا تقتلوا شيخاً فانيا، ولا طفلا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إنَّ الله يحب المحسنين"

(أخرجه مالك فى الموطأ والبخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما).

ويروى ابن عباس أن رسول ﷺ كان حين يرسل المحاربين إلى مكان يقول لهم: لا تقتلوا "أصحاب الصوامع".

وفى فتح مكة أمر رسول الله ﷺ: "ألا يتعرض أحد لجريح ولا يتابع أحد فارا ولا من يجلس خلف باب بيته فلهم الأمان جميعا" فالإسلام يمنع مقارفة المظالم، لأن الحرب ليس هدفها التدمير والهلاك إنما هدفها وأسلوبها الدفاع عن هدف نبيل شريف وأسلوبها فى تحقيقه يجب أن يتأسى بالتعاليم الإسلامية بسموهدفها ونبل مقصدها وشرف أسلوبها فى حدود العمل الحضارى وتعاليم الدين كمعيار أساسى للحرب فى الإسلام من ناحية الغرض وأسلوب تحقيق الهدف والحصول عليه.

فالتصور الإسلامى للحرب جوهره الإصلاح ورفع الظلم ووأد الفتنة والقضاء على الطغيان والفسا، لأن الحرب والاقتتال بلا سبب

يبررها، معصية يجب اجتنابها بقدر المستطاع، إلا إذا فرضت على المسلمين لدفع ضرر أوشر يحيق بدولة الإسلام، بشرط ألا يتجاوز استخدام القوة حد دفع ما استوجب الحرب، وأن يبقى بقية الأفراد فى مأمن بعيداً عن دمار الحرب وخرابها.

ولا يجوز الاعتداء على أشياء أوأشخاص لا علاقة لهم بقوة العدد العسكرية، ولهذا يستعمل الإسلام اصطلاح (الجهاد) تعبيرا عن أن الحرب مفروضة على المسلمين من الغير، لأن العدوان والبدء به وافتعال أسبابه كمبررات للحرب لا يحضّ عليه الإسلام.

ولبيان الحق فى هذا الموضوع نجده فى سياق الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ١٩٠-١٩٣).

فالقتال هنا ليس قتال المخالفين لنا فى الدين، وإنما القتال هنا للذين يقاتلون المسلمين، وألا يكون البدء بالاعتداء من المسلمين لأن الله لا يحب المعتدين، إنما إذا أقدم الكفار على قتال المسلمين فهنا الإذن بالقتال لأن الإسلام يمنع افتعال أسباب ومبررات للحرب، فالجهاد قرن بأنه فى سبيل الله، ومعناه فى اللغة هوالجد والسعى فى تحقيق هدف، فإذا قرن بأنه فى سبيل الله والله لا يحض على رذيلة، فإنه

يكون لتحقيق هدف نبيل لا للسلب أوالنهب أومجرد العدوان إنما لدفع الضرر وإزالة العدوان ضد الآخرين المعتدين فإن كفوا وانتهوا فلا معنى للحرب، لأن المجاهد يجتهد ويجدُّ في استخدام كل ما من شأنه دفع الضرر ولهذا قيد ووضع ضابط له بأنه في سبيل الله لإبعاد نزعة الشهوة والرغبة في الانتقام أوالرغبة في تحقيق مطامع دنيوية أوانتهاك لحرمات.

فحكمة القتال وسببه هوقتال وجهاد هؤلاء المخالفين لنا الذين يعتدون علينا، وليس سببه خلافهم معنا فى الدين، فالقتال هنا حرب دفاعية الغرض منها حماية الدعوة وتأمين الدعاة، لا أن يفرض الدين على الآخرين، لأن الإسلام دين دعوة ومحبة لا دين إكراه وبغى وعدوان، وأن الجهاد فى سبيل الله معنى سامٍ له أهداف وأغراض عديدة منها الدفاع عن دينه والسلوك القويم، ومجاهدة النفس لأن الجهاد يحمى النفس من شوائب هواها، ويهدف إلى تحقيق مقاصد شرع الله لتحقيق خير البشرية والإنسانية جمعاء وفق الدستور الإسلامى الذى وضع قانونا متكاملا للجهاد ومنه ما يتعلق بالحرب والقتال وضمان آداب القتال وحدوده الأخلاقية، وأهدافه النبيلة، مع ضمان حقوق المحاربين وواجباتهم والتفريق بين المقاتلين وغير المقاتلين، واحترام أصحاب المعاهدات، وحقوق السفراء، وأسرى الحرب وكيفية معاملة الأمم المنهزمة وحقوقها، ووضع لكل من هؤلاء قواعد كلية ثم أحكاما تفصيلية إذا اقتضى الأمر[1].

---

(١) - لمن أراد التوسع يرجع إلى كتاب " أبوالأعلى المودودى " شريعة الإسلام فى الجهاد " - ترجمة د. سمير محمد إبراهيم - طبعة ١٩٨٥ دار الصفوة للنشر بالقاهرة ص ١٦٧ وما بعدها.

# سلوك المحارب فى الإسلام

هذا هو النهج القرآنى الذى تأسَّى به رسول الله ﷺ ووصاياه للمحاربين تأكيداً لحقوق الإنسان أثناء الحروب الدفاعية المفروضة على الإسلام حتى وإن كان عدواً :

(اغزوا باسم الله، وفى سبيل الله تقاتلون من صدَّ عن سبيل الله، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا طفلا ) .

(رواه مالك فى الموطأ . . والبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر . . )

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون، وقد وصَّى أبوبكر الصديق بذلك يزيد بن سفيان عند التوجه إلى الشام بقوله :

(إنك ستجد قوماً وهبوا أنفسهم لله . رهبان الأديرة . فذرهم وما حيوا أنفسهم له، إنما أوصيك بعشر : لا تغدر، لا تمَثل، ولا تقتل هرماً ولا امرأة ولا وليداً، ولا شاة ولا بعيراً، ولا تحرقوا نخلا . ولا تحاربوا عابداً، ولا تغلوا، ولا تجبنوا عند اللقاء) .

وعلى النهج نفسه كان عمر (لأنه منهج القرآن الذى علَّمه رسول الله ﷺ للمسلمين إذ أن حقوق الإنسان هى رسالة الإسلام الكبرى يستهدف بها المسلم فى تكوينه وجزءاً من قيمه وسلوكه ويقول :

(امضوا بسم الله، وعلى عون الله وبتدبير الله، وما النصر إلا من عند الله، والزموا الحق، والصبر، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الغلب، ولا تقتلوا شيخا ولا امرأة، ولا وليداً، واحذروا قتلهم إذا التقى الجمعان وعند شنّ الغارات) .

فدستور الحرب حدَّده القرآن والرسول وسار عليه خلفاؤه الراشدون. وقد أمر القرآن المسلمين بعدم الاعتداء، وإنما قتال من يتعرض للمسلمين بالعدوان أوالايذاء بأى شكل ما :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠)

بل إن الإسلام منع المسلمين من الاعتداء بداءةً على المشركين الذين صدّوهم عن المسجد الحرام :

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ (المائدة : ٢).

والعدل مطلوب فى التعامل مع الخصوم حتى من يكرههم المسلم لأسباب شخصية

﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (المائدة :٨)

**إحترام المواثيق والعهود:**

إنَّ شريعة الإسلام وضعت للحرب شروطاً مهمة، ومن أهمها عدم الابتداء بالعدوان لأنها ليست وسيلة لنشر الدين، ولكن لتأمين ديار الإسلام من القوى الخارجية، وفى الوقت ذاته فالإسلام يقرر بشكل قاطع بأنه لا عدوان إلا على الظالمين وإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وماداموا قد جنحوا للسلم فلابد من الاستجابة للسلام، لأن السلام من أسماء الله تعالى.

وفى الحديث (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية) فالمسلم لا يسعى للحرب وليس هدفه الحرب لنشر الإسلام بالقدوة الحسنة والتربية الإسلامية والمسلمون يحترمون عهداً إذا عاهدوا ويوفون به).

وقد احترموا صلح الحديبية رغم ثورتهم عند توقيعه ولم يرغبوا فيه فلمَّا أقرَّه الرسول ﷺ استجابوا له وحرصوا على تنفيذه، حتى إذا نقضه أهل مكة كان الفتح بإذن الله، ويشهد التاريخ طوال مراحل الفتح الإسلامى أن المسلمين كانوا دواماً يحترمون العهد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ.. ﴾ (المائدة: ١).

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء: ٣٤).

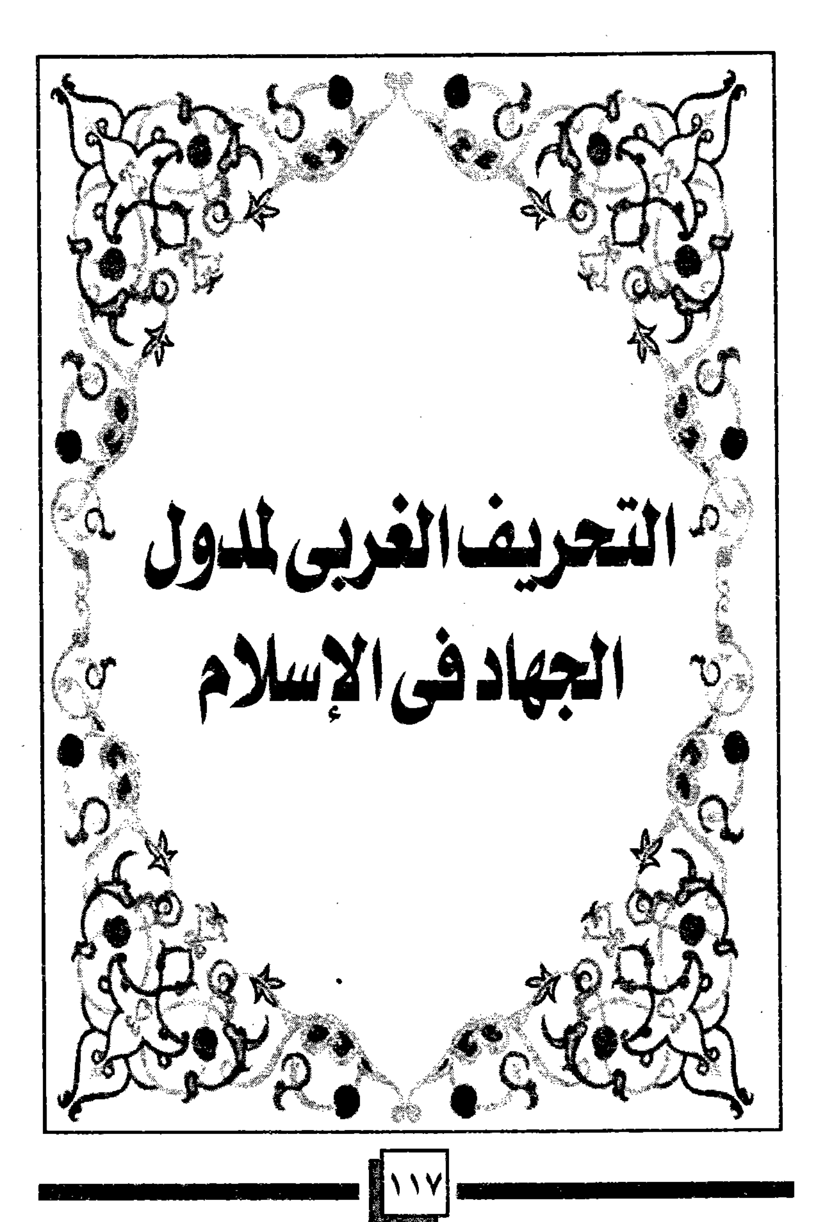
﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (التوبة: ٤)

وفى الحديث: (اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا عاهدتم)

(رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى).

(من ظلم معاهداً وكلَّفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة)

(رواه أبو داود.. والإمام المنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب).



# التحريف الغربى لمدول الجهاد فى الإسلام

تناولنا معنى الجهاد وصوره ونرى من الملائم أن نردَّ على تحريف الغرب للجهاد بأقوال كتَّاب من الغرب لتتضح الصورة كاملة حول الأكاذيب الغربية، وقد تناولتها الدكتورة أنا مارى شمل المستشرقة الألمانية[1] :

(الإنسان عدوما يجهل كما يروى هذا القول عن على بن أبى طالب) ذلك أن المرء إذا حاول الرجوع إلى جذور الحضارة التى يجهلها تكشف له الكثير ويصبح قريبا إلى الفهم، حينئذ يتبين الغربى أن مصطلح (الحرب المقدَّسة) الذى استهلك باستخدام وسائل الإعلام بإلحاح فى (السنتين الآخيرتين) مصطلح لا علاقة له بالإسلام، ولا يمت بصلة من قريب أوبعيد لمصطلح (الجهاد) وإنما هومصطلح من مخلَّفات الحروب الصليبية.

أمَّا الجهاد فى سبيل الله فكلمة عربية تعنى حرفيا ولغويا : التعصب والسعى الدائب، ومعناه دينيًّا الجهاد فى سبيل الله بالذود عن الدين دفاعاً لا عدواناً واعتداء باغياً، وإذا لزم الأمر فالجهاد مشروع لنشر دين الله ولكنَّ الجهاد يعنى أيضا جهاد النفس، حيث يسعى المسلم لجهاد ضعفه شخصيا أيًّا كانت صور هذا الضعف، إننا نستطيع أن نستعرض مثل تلك الأحكام الظالمة المبنية على سوء فهم، ودحضها ونبيِّن خطأها بالتفصيل .... "

وقد استعمل الغرب هذا التعبير للافتراء على الإسلام والادعاء بأنه

---

(١) - مقدمة كتاب " الإسلام كبديل " للدكتور مراد هوفمان نافذة الغرب طبعة أولى (ص ١٥)

انتشر بحدّ السيف وأنه يعلن حرباً مقدماً، مع أن هذا التعبير ذاته تسميته مسيحية لصقتها أوروبا بالإسلام للدلالة على حروبهم الصليبية التي أطلقوا عليها الحرب المقدّسة عندما أصدر البابا أريان الثاني عام ١٠٩٥ تصريحه بإعلان الحرب قائلاً:

(قوم بلا إله، كفرة، عباد أصنام، أعداء المسيح، كلاب، حطب لنار جهنم خالدين فيها....)

هذا عن الدين الذى وحّد الله وثابت ذلك وأقرّ به بعض عقلاء الغرب فهوالدين الذى حطّم الأصنام وقاومها واستهدف القضاء على عبادة الأوثان وكان هذا بسبب الحروب الإسلامية فى الجزيرة العربية وأوذى في ذلك كثيراً رسول الله وتحمّل البلاء فى مكة جهاداً فى سبيل الله الواحد الأحد القهار... حتى تكالب القوم عليه ودبّروا لقتله، فكانت الهجرة للمدينة وكان هذا إيذاناً بنصر الله، ومن هنا أُذن للرسول ﷺ أن يقاتل الكفار دفاعا عن الوحدانية وليس إكراها للناس للدخول في الدين، والقرآن هوالقائل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون)

فالإسلام انتشر بالدعوة لا بحد السيف فقد بدأ بجهادٍ فى سبيل الله ففرّق بين الدعوة للإسلام وهى بالموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أقوم وبين الدفاع عن الدين بالقتال، أما الدخول فى الإسلام وانتشاره فهوأمر مختلف لا يحتمل الخلط بينهما قول كل مفترٍ مكابرٍ مغالط.

وقد ردّت على هذا الافتراء السيدة كاترين أرمسترونج فى كتابها " محمد " بتعليقها على ذلك[1] :

( ونحن على وجه الخصوص نرى ما قيل إن محمداً حارب طريقه إلى السلام والقوة والنصر أمرا مخزيا ، وهكذا لقب الإسلام بدين السيف كعقيدة تخلّت عن الروحانية الحقّة وكُرست للعنف وعدم التسامح ، وقد طاردت تلك الصورة الإسلام فى الغرب المسيحى منذ العصور الوسطى ، رغم أن المسيحيين كانوا يشنون حروبهم المقدّسة الخاصّة فى الشرق الأوسط فى ذلك الوقت ، وفى يومنا هذا تلهو الكتب وبرامج التليفزيون بإبراز عناوين مثل " خنق الإسلام " و " سيف الإسلام " و " الحق المقدس " و " الرعب المقدس " ، ولكن هذا تشويه للحقيقة . أ.هـ

فالغربيون يتعمّدون إثارة الشبهات حول تعبير الجهاد فى سبيل الله للطعن على الإسلام بأنه انتشر بقوة السيف وأن الإسلام يفرض على المسلمين مقاتلة من يخالفهم فى العقيدة ومناصبتهم العداء لإكراههم على الدخول فى الإسلام .

وممن أنصفوا الإسلام من هذا الادعاء الدكتورة أليس ليخنادثر مؤلفة كتاب ( الإسلام والعصر الحديث ) والتى أشار إلى كتابها الأستاذ- عباس العقاد[2] شرحا لبعض قواعد الحرب فى الإسلام

---

( ١ ) - مرجع سابق ص ٢٤٧

( ٢ ) - كتاب الأستاذ عباس العقاد " ما يقال عن الإسلام " ص ٢٤ سلسلة كتاب الهلال العدد ١٨٩ ديسمبر ١٩٦٦

وليس الحرب المقدَّسة كما يحلو للبعض القول فتذكر شرحا لها (أن النظرية الإسلامية في القرون الوسطى تقسّم العالم إلى قسمين دار الإسلام، ودار الحرب، ودار الإسلام تشمل البلاد التي انبسط عليها الإسلام عقيدة وحكماً ودار الحرب تشمل البلاد التي يصبح من الوجهة النظرية (المحضة) فتحها للإسلام ولو بالسيف إذا اقتضى الحل ولهذين الاصطلاحين شأن من مبادئ السياسة الإسلامية والعلاقات الدولية وينبغي - لسوء فهمها بالمعنى الصحيح اللذين ينطويان عليه - أن يبحثا ببعض التفصيل " أن كلمة الجهاد مشتقة من جذر في اللغة يعني الجهد أو المشقة ويمكن أن يصدق على الدراسة الفقهية وعلى تطبيق الشريعة وتنفيذ الأحكام، إذ يسمى الفقيه أو القاضي في هذه الأيام بالمجتهد على المعرفة جاداً في بحثه، وقد أمر القرآن بجهاد الكفار، ولم يعين الجهود التي تعمل لذلك وقد استثنى الإكراه في الدين بنص الآية القرآنية .

ولكن الجهاد اكتسب في أيام الفتوح الكافرة بعد وفاة النبي معنى القتال بما يفيد أن الحرب في هذه الحالة مقدَّسة تشهر في سبيل الله وتعظيمه، وكاد يحسب من أركان الإيمان المفروضة على كل مسلم.

ومن الوجهة النظرية تعد دار الحرب خاضعة لحكم الفتح ولكن خلفاء الإسلام وسلاطينه عقدوا المحالفات، واتفقوا على عهود السلم والمودة والمعاملات التجارية مع الأمراء من غير المسلمين على الأقل منذ عهدي هارون وشرلمان .

وقد حسمت العداوة المسيحية خطر الحرب المقدسة في إخضاع البلاد التي لا تدين بالإسلام للسيطرة الإسلامية، إذ أن القتال لم يكن له هذا العمل في انتشار الفتوح، حتى إبَّان القرن الأول بعد الدعوة، واتمام معظم الفتوح بالتسليم ومعاهدات الصلح، ووردت في هذه المعاهدات، فقرات تبيح لأهل الكتاب من أبناء البلاد المفتوحة أن يحتفظوا بعقائدهم وشعائرهم بشروط ليست - على الجملة - بالمرهقة، فليست فكرة النار والحديد بالفكرة الصحيحة التي يؤيدها الواقع، ومن الميسور كما يقول المؤرخ توينبي أن يسقط الدعوى التي شاعت بين جوانب العالم المسيحي غلوا في تجسيم أثر الإكراه في الدعوة الإسلامية، إذ لم يكن التخيير ببلاد الروم والفرس بين الإسلام والسيف، وإنما كان تخييراً بين الإسلام والجزية وهي الخطة التي استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك في البلاد الإنجليزية على عهد الملكة الياصبات ) أ.هـ

ثم تقول الكاتبة : بل نجد أن الوثنيين في البلاد المفتوحة لم يعرضوا على السيف على قول الفقهاء المسلمين، وهم أكثر الداخلين في الإسلام عدداً خلال القرون التالية [1] .

ونشير هنا إلى أن أكثر البلاد عدداً من المسلمين هي أقل البلاد غزوات إسلامية، وأن المسلمين لم يحاربوا قط في صدر الإسلام إلا مدافعين، ويفهم من بعض تطبيقاته على أنه عمل واجب لاسترداد

( ١ ) - المرجع السابق ص ٢٥، ٢٦ .

كل أرض مغتصبة أُخرج منها المسلمون عنوة وهوبهذه المثابة دفاع محتوم.

وكذلك كانت وقائعهم مع مشركى الجزيرة العربية، كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم ..... وقبل غزوفارس بزمن طويل كان كسرى يبعث بعيونه فى طلب صاحب الدعوة الإسلامية حياً أوميتاً، لأنه خاطبه داعياً إلى الإسلام " .

ونحن نسأل الذين يعتبرون الجهاد فريضةً من فرائض الإسلام وهى محددة فى الفقه، من أين أتوا بهذا الاستنتاج بالخلط المتعمد أوسوء الفهم ؟.

فالإسلام يؤمن بتعدد الشرائع، ولا يتصور سريانه على كل أرض العالم، وهذا ما عبَّر عنه القرأن بالآية ٤٨ من سورة المائدة بقوله:

﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

ويقول إن " الشرعة والشريعة " هى الطريقة الظاهرة التى يتوصَّل بها إلى النجاة . ومعنى الآية أن الله جعل التوراة لأهلها والإنجيل لأهله، وإنَّ الأصل التوحيد " ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة " أى شريعة واحدة" ولكنه ارتضى لكل منكم شريعة مختلفة اختباراً وابتلاء من الله للناس على الأرض لأن اختلاف البشر على الأرض

واختلاف الشرائع الدينية هى الحكمة الإلهية التي تتفق ومشيئته من خلق الله للناس جميعا وهذه إرادته ﴿ ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ (سورة هود: ١١٨، ١١٩).

وهذا يعنى حتمية بقاء الناس على أديان – أى شرائع – مختلفة. لأن هذه إرادته واستحالة تحقق وحدة الملة فى أرض الله فى أى زمان مهما تنوعت السبل ولو كانت قتالا أوجهادا ؟ فهل مستساغ أن يقال إن الإسلام يريد انفراد الشريعة الإسلامية بأهل الأرض جميعا. وأن هذا استخلاص سائغ للفكر الإسلامى ؟

وهل يمكن القول بمحاربة المسلمين لكافة دول المعمورة كلها لإكراه الناس جميعا للدخول فى الإسلام

وهذا ما عبَّر عنه محمد عبده بقوله :

"لقد كان قتال النبى ﷺ مدافعةً عن الحق وأهله ،وحماية لدعوة الحق "[1]

وأكده المرحوم الشيخ حسن البنا :

(لقد فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية، ولكن حمايةً للدعوة وضماناً للسلم وأداءً للرسالة الكبرى التى حمل عبئها المسلمون . وأن الإسلام كما فرض القتال شاد السلام[2]).

---

(١) – الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٤ ص ٤٩٥ .

(٢) – المرجع السابق.

فقال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٦١) أ.هـ .

" من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم فى مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الايقوسى الذى يسميه نقاد الغرب نبى الكتاب ، فهو ينتهى بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغثاثة ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التى تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلانا من أن يبطل بالمناقشة ، لأن القائل به سواء من يقول إن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه - وحده -ويسوقهم كرهاً إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيتبعونه ويثنون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين[١] .

ويعلق على ذلك الأستاذ عباس العقاد فى كتابه الأبطال وعبادة البطولة :

(إن اتهام الرسول ﷺ بالتعويل على السيف فى حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس بما يجوز من الفهم أن يشهر رجل بسيفه ليقتل به الناس أويستجيبوا لدعوته ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم ، فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من اعدائهم قبل أن يقدروا عليها ) أ.هـ.

---

(١) عباس العقاد كتاب الهلال " ما يقال عن الإسلام " ص ١٣٠ .

ومن الأقوال المعبرة عن روح الإسلام التي تبعث في النفس حب التضحية في سبيل الله والاستهانة بالموت ما جاء على لسان نابليون ونشره لاكازاسي في كتابه مذكرات سانت هيلين جـ ٣ ص ١٨٣ في أواخر أيامه فيقول :

(إننا إذا طرحنا جانباً من الظروف العرضية التي تأتي بالعجائب، فلابد أن يكون في نشأة الإسلام سر لا نعلمه، وأن هناك علة أولى مجهولة، جعلت الإسلام ينتصر بشكلٍ عجيب على المسيحية، وربما كانت هذه العلة الأولى المجهولة أن هؤلاء القوم الذين وثبوا فجاءة من أعماق الصحاري، قد صدمتهم حروب داخلية عنيفة طويلة، فكونت خلالها أخلاقاً قوية، ومواهب عبقرية، وحماساً لا يقهر، أوربما كانت هذه العلة شيئاً أخر من هذا القبيل)

وقال الكونت هنري دي كاستري :

(إن المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار في المعاملات، ومحاسنة المخالفين) .

وهذا يحملنا على تصديق ما قاله (روبنسون ) :

(إن شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم وهذه المحبة هي التي دفعت العرب في طريق الفتح، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه الظافرة، ولم يتركوا أثرا للعنف في طريقهم إلا ما كان لا بد منه في كل حربٍ وقتالٍ، ولم يقتلوا أمة أبت الإسلام)[1] .

---

(١) الإسلام خواطر وسوانح ٣٥ ترجمة أحمد فتحي زغلول .

وقال جوستاف لوبون[1] :

( إن القـوة لم تكن عـامـلاً في نشـر القـرآن ، وإن العـرب تركـوا المغلوبين أحـراراً في أديانهـم ، فـإذا كـان بعض النصـارى قـد أسلمـوا ، واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى .

وقد عاملوا أهل سوريا ومصـر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قـوانينهم ونظمـهم ومعـتـقـداتهم ، غـير شارطين عليـهم سوى جزية زهيـدة فى مقـابل حمايتهم لهم ، وحفظ الأمن بينهم .

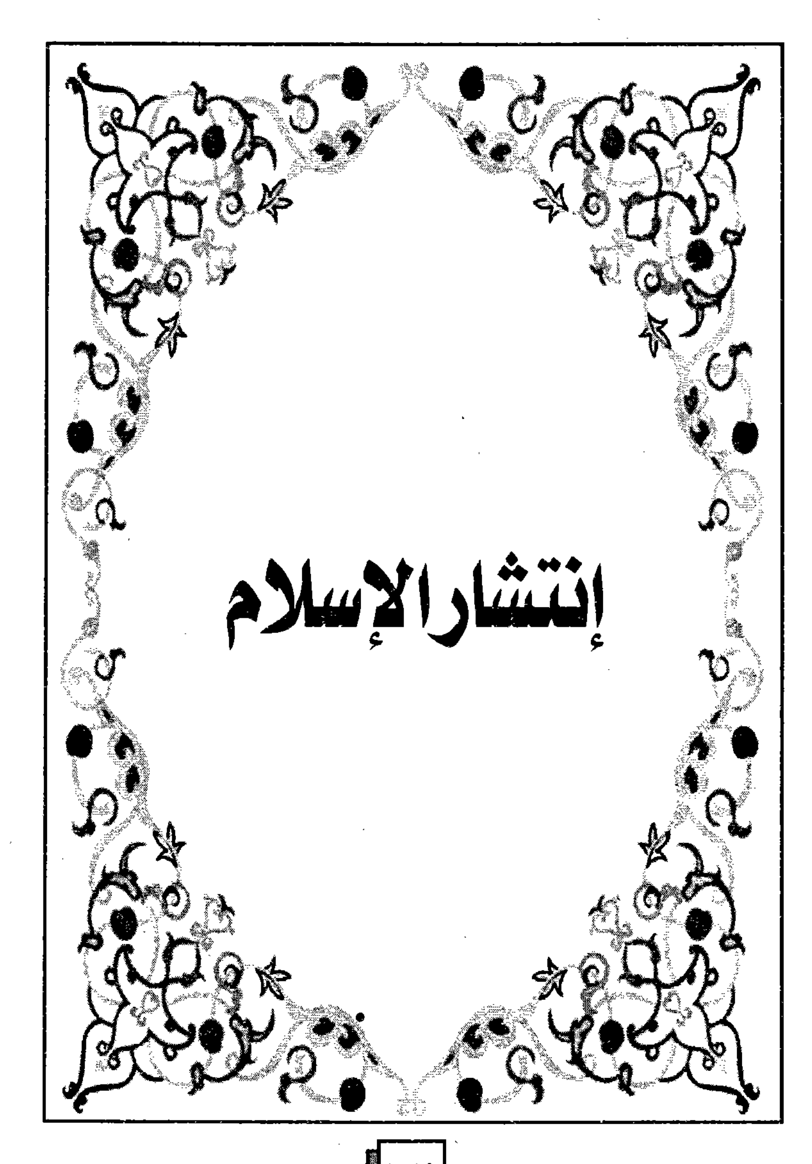
والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ) أ.هـ

والقـول الذى تنتـهى إليـه هذه الدراسـة يخلص فى أن رسـالة التوحيد والرسالة النبوية والقدوة الحسنة والقدرة الإلهية كانت وراء نصر المسلمين وقد عبَّر عن ذلك القرآن :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (سورة النصر )

---

( ١ )- حضارة العرب جوستان لوبون ١٤٥ .



# إنتشار الإسلام



- لا إكراه فى الدين
- من أقوال فقهاء الإسلام فى حرية العقيدة
- تسامح الإسلام مع الأديان الكتابية
- القرآن والمسيحية
- توحيد الله دعوة سماوية أحادية المصدر
- حرية العقيدة فى الإسلام

نص البند الثامن عشر ضمن مبادئ الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ من الأمم المتحدة على الآتى : " لكل شخص الحق فى حرية التفكير والضمير والدين وشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أوعقيدته وحرمة الاغتراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة " .

وجاء فى البيان العالمى عن حقوق الإنسان فى الإسلام المعلن عن المجلس الإسلامى الدولى للعالم فى باريس ١٩ سبتمبر أيلول ١٩٨١م ٢١ ذى القعدة ١٤٠١هـ متضمن المادة ١٢ / أ منه :

" لكل شخص أن يفكر ويعتقد ويعبر عن فكره ومعتقده دون تدخل أومصادرة من أحد ما دام يلتزم الحدود العامة التى أقرتها الشريعة ولا يجوز إذاعة الباطل، ولا نشر ما فيه ترويج للفاحشة أوتخذيل للأمة، لقوله سبحانه :

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ الأحزاب ٦٠-٦١ .

### حق الحرية الدينية :

- ونصت المادة ١٣ عن حق الحرية الدينية :

لكل شخص، حرية الاعتقاد، وحرية العبادة وفقاً لمعتقده، لقوله سبحانه ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون : ٦) .

### حق الدعوة والبلاغ :

- وفى المادة ١٤ تحت عنوان حق الدعوة والبلاغ :

لكل فرد الحق فى أن يشارك بمفرده أومع غيره فى حياة الجماعة دينيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ... إلخ، ويصطنع من الوسائل ما هوضرورى لممارسة هذا الحق، لقوله سبحانه ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (يوسف : ١٠٨) .

وإذا تصفحنا آيات الكتاب المبين والأحاديث النبوية وأفعال الرسول وخلفائه نجد أن مبدأ حرية الاعتقاد يسبق الإعلان العالمى بحوالى ١٤٠٠ سنة تقريبا معززا بالقرآن وسنة الرسول وخلفائه من بعده.

**القرآن وحرية العقيدة :**

- ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦).

- ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون )

- ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (يونس: ١٠٨).

- ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. ﴾ (الكهف : ٢٩).

- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩)

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٤٥ - ٤٦).

- ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ (المائدة ٩٩).

- ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١ - ٢٢).

- ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥).

- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود: ١١٨).

- ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النساء: ٩٤).

وفي الحديث :

" من آذى ظلماً يهودياً أونصرانياً كنت خصمه يوم القيامة[1] "
فالملك يدوم على الكفر ولكن لا يدوم على الظلم "

يروى ابن جرير نقلا عن ابن عباس أن رجلاً من بني سالم يقال له الحصين، وله ولدان مسيحيان وهومسلم سأل الرسول ﷺ فيما إذا

(١) - الحديث أخرجه أحمد في المسند ع / ١٩٥

كان يجب عليه إكراه ولديه على اعتناق الإسلام، وإنه عرض عليهما الإسلام وهما يرفضان أى دين غير المسيحية فنزلت الآية الكريمة " لا إكراه فى الدين "

وعندما جاء رسل نجران المسيحيون المدينة ليفاوضوا الرسول ﷺ منحهم نصف مسجد ليؤدوا صلاتهم فيه .

ومرت جنازة أمام الرسول ﷺ فقام واقفا تكريماً للميت فقيل له : جنازة يهودى فقال أليست هى نسمة (روح)[1] .

## فقهاء الإسلام وحرية العقيدة :

ويقال فى أسباب التنزيل لآية (لا إكراه فى الدين) سبب آخر غير حالة أولاد الحصين، وهو أنه عندما أمر الرسول ﷺ بنفى بنى النضير خارج المدينة وغدرهم كان معهم بعض أطفال الأنصار الذين أصبحوا يهودا، ذلك لأنه كان يحدث قبل الإسلام أن تنذر المرأة ابنها إذا امتد به العمر ليصبح يهوديا، فشمل قرار النبى هؤلاء الأطفال، وقد حاول الآباء أن يكرهوا الأبناء على الإسلام حتى لا يظل الأبناء يهودا فنزلت الآية ويقول ابن كثير فى تفسيرها :

(لا تكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام، لأن هذا الدين واضح كل الوضوح، وقضاياه واضحة مقنعة، ودعوته جلية لا خفاء فيها ولا لبس، وليس من الضرورى أن ترغم أحدا على الدخول فيه) .

---

(١) الحديث أخرجه النسائى فى المجتبى من السنن

فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للحق ويرضى بالإسلام دينا بمحض اختياره ورضاه، أما من ختم الله على قلبه فلا جدوى من محاولة إكراهه على الإسلام ويثبت التاريخ بما لا يقبل الشك أوالتأويل أن النبى ﷺ لم يسل سيفاً فى حياته لإرغام أحد من الناس على الدخول فى دينه، والمدن أسلم أهلها طواعية).

يقول الإمام الزمخشرى:

(نرى الله نهى عن الإكراه والجبر فى مجال الإيمان والعقيدة وتركها لمحض اختيار الناس ورضاهم، وهذه الآية تفسرها آية أخرى فى القرآن، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ وقال مخاطباً رسوله ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩).

فالإسلام يترك الإيمان لاختيار الناس وقال فى سورة الكهف ٢٩:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

وجعل الدعوة للدين وسيلة نشره والدعوة إلى الإسلام أساسها الحكمة والموعظة الحسنة حتى المجادلة يجب أن تتم ﴿ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) ولا تكون بالقتال الذى يتم لدفع الأذى وللدفاع عن النفس لا للعدوان مع احترام أهل العهد وأهل الذمة والمستأمنين، وقد أمر الرسول بأن يقاتل من قاتله وأن يكف عمن لم يقاتله والرسول ﷺ:

- استخدم فى حياته يهوداً

- وجاور يهوداً
- ووقف لجنازة يهودى

وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له مملوك نصرانى فكان يعرض عليه الإسلام فيأبى وقال : له لا إكراه في الدين ولما حضرته الوفاة اعتقه وقال له : اذهب حيث شئت دون أن يلزمه بالإسلام ؛ لأن الإسلام دين قناعة واقتناع وإيمان وليس بالقهر والسلطان، ففى الحديث (لأن يهدى الله بك رجلاً واحدا خير لك من حمر النعم) أخرجه : مسلم فى الصحيح.

فقد أسلم الناس إيماناً بقول الإسلام واقتناعاً بصدقه، وعبر عن ذلك الشاعر لامرتين : (إن النبى محمداً ﷺ قد أقام على أساس كتاب واحد صحيح كل حرف فيه قانون جنسية وروحية جديدة تنضوى تحت لوائها شعوب تتكلم لغات شتى وتتخذ من أجناس متنوعة).

وقد نوه المؤرخ مونتوجمرى موات بالقيم الإسلامية فى مؤلفاته، وكذلك برتاولويس فى كتاب - " عالم الإسلام ".

وقال غوستاف لويون :

" إنَّ تسامح محمد مع اليهود والنصارى كان عظيما جدا وإنه لم يذهب إلي مثله مؤسسو الديانات التى ظهرت قبله ! ! وقد سار خلفاؤه على سنته "

وقال روبرتسون :

" إنَّ المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة على دينهم، والتسامح مع أتباع الأديان الأخرى "

فالإسلام يقبل فى دياره التعدد فى الديانة حتى الملاحدة ؛ لأن المسئولية فيها فردية وليست جماعية، وهولا يضع أية قيود على تابعى الديانات الأخرى أوأية قيود فى ممارسة شعائرهم دون إيذاء أوتعدٍ على الإسلام أوممارسة شعائره .

## تسامح الإسلام مع الأديان الكتابية :

إنَّ حرية العقيدة هى مبدأ أساسى فى نشر الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وفى الجدال يجب أن يتسم باسلوب ليّنٍ حسنٍ ليس به غلظة أوقهر، والدين يحثٌّ على احترام ديانة الآخرين، وقد جاء قوله تعالى :

﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ ﴾ (الأنعام : ١٠٨) .

فإلى هذا الحد نجد الاسلام ينهى عن سب الكفار وليس أهلٍ الكتاب، والحكمة من ذلك أن هذا يدفعهم إلى سب الله عدواً رداً على ذلك ويعتبر الإسلام هذا حقهم رداً على معتقداتهم وهم لا يعلمون مدى جرمهم وإن الله قد زيَّن لكل إنسانٍ عقيدته، والحساب يؤجل إلى يوم البعث، فيجب ألا يخوضَ المسلم فى ذلك مع الخائضين وما عليه إلا أن يغير الحديث إلى أمر آخر هذا هوالاسلام الحنيف,لم يطلب حمل السيف عليهم أوضربهم أوحبسهم أوغيره وهذا هوخلق القرآن، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٦٨).

فالله جلَّ جلاله لا يطلب منا الاعتداء على من يخوضون فى آياته، ولا يأمرنا بالاعتداء عليهم أو نهرهم، إنما يأمرنا بأن نعرض عنهم ونبتعد حتى ينتقلوا إلى حديثٍ غيره، ولا يقول لنا قاطعوهم أو دمروهم وإنما إعراض خفيف ثم اللقاء إذا عرجوا على حديث آخر ليس فيه مساس بآيات الله.

فالإسلام دين دعوة بالعقل لا قهر بالسيف ودين تسامح مع الأديان.

هناك العديد من الشواهد والوقائع التاريخية والعهود الكتابية التى تدل على ذلك وتقطع كل شك بيقين، وقد عبرَّ القرآن عن المتقولين بقوله تعالى:

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس: ٣٦).

وفى العصر الحديث من يأتى بما يناقض ما فى الإسلام من قيمٍ وأسسٍ جوهريةٍ بناءة ويقول بكل وقاحةٍ وادعاء.

(المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها فهم لصوص وقتلة ومتأخرون وإن التبشير سيعمل على تمدينهم).

هذا قول أحد المبشرين الأمريكان ويدعى هنرى جب ويتاح له

إعلام كبير ليقول كلاماً مرسلاً لا ينى على أسس علمية أوموضوعية إنما يحتوى على شتائم لا تتفق وخلق المسيحية، والشواهد على ذلك متعددة والرسول ﷺ الذى أعطى لأهل ملة النصارى عهداً هو وثيقة من العهد النبوى يسير عليها الإسلام.

(ولعل فى الوثيقة التى أصدرها النبى إلى رهبان دير سانت كاترين خير دليل على سماحة الإسلام وسمومبادئه، لقد كانت رسالة محمد بن عبد الله إلى رهبان الدير رسالة شامخة اشتهر أمرها فى الناس، وقد حرص الرسول على أن يملى رسالته على ملأ من الصحابة والتابعين رغبة منه فى تأكيد حسن السياسة التى التزمها وأمراً منه بأن يتبعوها فى علاقاتهم مع أبناء الديانات الأخرى، وبهذا كشف عن حقيقة الغاية التى تربط المسلمين بغيرهم من أبناء الديانات الأخرى).

ويحسن أن ننقل نصها :

العهد النبوى لأهل ملة النصارى :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

هذا كتاب محمد بن عبد الله رسوله إلى كافة الناس أجمعين مبشرا ونذيرا ومؤتمنا على وديعة الله فى خلقه لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيماً .

كتبه لأهل ملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها قريبها وبعيدها فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها جعل لهم عهداً فمن نكث الذى فيه وخالفه إلى غيره وضد ما آمره

كان بعهد الله ناكثا ولميثاقه وبدينه مستهزئا وللعنته متوجباً سلطاناً كان أم غيره من المسلمين، وإن احتمى راهب أو سائح فى جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة فأنا أكون وراءهم أذب عنهم من كل غيرة لهم نبضى وأعوانى وملتى وأتباعى لانهم رعيتى وأهل ذمتى وأنا أعزل عنهم الإذن فى المؤن التى يحمل أهل العهد من القيام بالخراج إلا ما طابت لهم نفوسهم وليس عليهم جبر ولا إكراه على شئ من ذلك .

ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته ولا تهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدل شيئا من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين ولا فى بناء منازلهم، فمن فعل شيئا من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله ولا يحمل الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غراسة أنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا براً أو بحراً وفى المشرق أو فى المغرب والجنوب والشمال وهم فى ذمتى وميثاقى وأمانى من كل مكروه وكذلك من يتفرَّد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة لا يلزمهم لما يزرعونه لا خراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه يرسم أفواههم ولا يعاونون عند إدراك الغلة ولا يلزمون بخروج فى حرب وقيام يجبر به ولا من أصحاب الخراج وذوى الأموال والعقارات والتجارات فما هو أكثر من اثنى عشر درهماً بالجملة فى كل عام، ولا يكلف كل أحد منهم شططا ولا يجادلون إلا بالتى هى أحسن ويحفظونهم تحت جناح الرحمة تكف عنهم، وحيثما كانوا النصرانية فعل ما يرضاها وتمكينها من الصلاة فى بيعها ولا يحال بينها وبين هوى دينها .

ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله ويعاونون على حرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم ومنالهم بالعهد ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح بل المسلمون يقومون عنهم ولا يخالف هذا العهد أبدا إلى حين تقوم الساعة وتنقضى الدنيا )

(عن مجلة المحيط القاهرية الشهرية العدد أبريل ١٩٠٨ ) .

وفى عهد خليفته سيدنا أبوبكر فقد خطب فى سرية مجهَّزة وموجَّهة إلى الشام تعبر عن الإسلام ومبادئه إذ قال لهم :

(أعلم أن الله حاضر لا يغيب فاذكروه فى كل ولو كنتم على شفا الموت وآمنوا باليوم الآخر وبالرجال فى دخول الجنة..... واجتنبوا الظلم والطغيان وشاوروا إخوانكم فى كل أمر، وتحابوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، فإذا قاتلتم فى سبيل الله فقاتلوا صفا وكأنكم بنيان مرصوص ولا تولوا الدبر، ولا تلطخوا النصر بدماء النساء والأطفال ولا تبيدوا النخيل ولا تحرقوا حقول القمح ولا تتلفوا أشجار الفاكهة ولا تقتلوا الأنعام وإذا عاهدتم قوماً فأوفوا إليهم عهدهم واحفظوا إيمانكم وعهدكم وستجدون أقواما على غير ملتكم فذروهم فى عبادتهم ولا تمسوهم بسوء ولا تخربوا حق أمنهم) .

فالإسلام لم يمنع أتباع الأديان من حق ممارسة شعائرهم دون تدخل بل زاد على ذلك أن أعطى أهل الكتاب حق مباشرة التصرفات

التى تسمح بها شعائرهم وديانتهم حتى ولوكانت تتعارض مع ما تقضى به الشريعة الإسلامية مثال ذلك إباحة الخمر وتربية الخنزير .

وفى هذا الصدد كتب الدكتور يوسف القرضاوى وهومن فقهاء الإسلام الأجلاء :

(الخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالاً منقولاً ، ومن أتلف لمسلم خمراً أوخنزيراً لا غرامة عليه ولا تأديب بل هومثاب مأجور على ذلك ولا يجوز للمسلم أن يتملك هذين الشيئين لا لنفسه ولا لبيعها للغير ، أما الخمر والخنزير إذ ملكهما غير المسلم فهى مالاً مقومة بل من أنفس الأموال كما قال فقهاء الحنفية ، فمن أتلفها عليه قيمتها) .

وعندما دعى سيدنا عمر بن الخطاب ليتسلم مفاتيح القدس من أسقف بيت المقدس صفرونيوس وتوقيع صلح إيليا وفيه يتجلّى بوضوح هدف المسلمين العادل من الحرب ونبالة المنتصر باسم الله وشريعته وكفالة الحريات الدينية والعامة وكفالة الحقوق الإنسانية للمغلوب وضمان حقوقه دون إكراهه على تغيير دينه وبدأ :

بسم الله الرحمن الرحيم :

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منه ولا من خيرتها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن معهم أحد من اليهود وعلى

أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منها آمن وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية، ومن أحبَّ من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله ويخلى بينهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وبيعهم حتى يبلغوا وتطهر القدس من اليهود ومنعهم من مساكنة النصارى فيها بناء على طلب النصارى " وكان ذلك بناء على طلب النصارى حماية لأنفسهم من حقد اليهود ومقتهم .

وقد حان وقت الصلاة أثناء تفقد عمر رضى الله عنه لكنيسة القيامة فدعاه البطريرك للصلاة فى الكنيسة فرفض وخرج ليصلى بجوارها، وقال : حتى لا يأتى بعدى من المسلمين ويتعللون بصلاة عمر فى الكنيسة ويتخذونها مسجداً هكذا كان رجال الإسلام وتوقيرهم لأماكن العبادة للأديان الأخرى وتعظيمها وهذا ما لم يحدث فى تاريخ الأديان الأخرى من اضطهاد لا للمسلمين وحدهم والاعتداء على أماكن عبادتهم بل اضطهاد المسيحيين بعضهم البعض لمجرد اختلاف المذهب فقط، فقد اضطهد الرومان المسيحيين المصريين ليجبروهم على اتباع مذهبهم وفرَّ البطريرك بنيامين والأقباط إلى الصحارى وتركوا بيوتهم، وكان هذا حال أقباط مصر عند فتح مصر فأصدر عمرو بن العاص أمراً للبطريرك بالأمان ودعاه للعودة بقوله : (فليأت البطريرك الشيخ آمناً على نفسه، وعلى القبط الذين بأرض مصر والذين فى سواها لا ينالهم أذى ولا تخلوا لهم ذمة) .

ولما سمع البطريرك بذلك قال لقومه وأتباعه :

(عدت إلى بلدى الإسكندرية فوجدت فيها أمناً بعد حزنٍ واطمئناناً بعد ابتلاء، وقد صرف الله عنى اضطهاد الكفار وبأسهم ويعنى بذلك الرومان)

**القرآن والمسيحية:**

وفى عصرنا الحالى تعرَّض البابا شنودا قبل أن يتولى رئاسة قبط مصر وعندما كان أسقفاً للتعليم فى مقالٍ له نشر فى مجلة الهلال ديسمبر سنة ١٩٧٠ وردبكتاب الأستاذ رجب البنا ص ٣٧٢ " الأقباط فى المهجر " :

دراسات جاء فى :

تعرَّض القرآن للمسيحية وشرح كيف أنها ديانة سماوية، ديانة إلهية أرسلها الله هدىً للناس ورحمةً على يد المسيح ابن مريم، والمؤمنون بالمسيحية سجَّل القرآن أن لهم أجرهم عند ربهمٍ وأنهم غير المشركين وغير الذين كفروا، وقال أيضا : أنهم أقرب مودة للمسلمين وأنهم يتواضعون ولا يستكبرون .

وشخص المسيح له فى القرآن مركز كبير، إنه كلمة الله وروح منه، ولد بطريقة عجيبة لم يولد بها إنسان من قبل أومن بعد، بدون أب ومن أم عذراء لم يمسها بشر ومات ورفع إلى السماء بطريقةٍ عجيبةٍ حار فيها المفسرون والعلماء على الأرض يهدى الناس ويقوم بمعجزاتٍ لم يعملها أحد قبله، وقد هدى الناس عن طريق تبشيرهم بالإنجيل، والإنجيل له مكانة عظيمة فى القرآن الذى كان مصدقاً له وداعياً الناس للإيمان به، ولم يذكر إطلاقا أنه نسخ للتوراة أوالإنجيل بل على

العكس ذكر أن المسلمين ليسوا على شئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل.

فالإسلام يحترم ديانة الآخرين ويساوى فى دولة الإسلام فى الحقوق بين جميع المواطنين، ولقد اقتسم المسلمون وجميع من دخلوا فى دينهم أودولتهم حقوق العيش وتساووا فى بيت المال المساند للعمل المشروع وحقوق الأمن بكفالة الدولة ونظمها وجيشها وخير ما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تأصيل القواعد العمرانية إبان ولايته من مجتمعٍ يعتبر فيه الملكية الإلهية لكل من فى الأرض أوعليها وأن الإنسان مستخلف به مصالح البشرية جمعاء إذ يقول سيدنا عمر : (ما من أحد إلا له حق فى هذا المال، أعطه أوأنفقه وما أنا فيه إلا كأحدكم ) .

ويقول :

(والله إذا عثرت شاة فى العراق لسئل عمر عنها يوم القيامة)

وقد أثبت توماس أرنولد فى كتابه (تعاليم الإسلام ) : تطبيق المسلمين لهذه المبادئ أنه عندما بلغت جيوش المسلمين وادى الأردن واقتربوا من وادى الفهل، فإن سكان القرية من المسيحيين كتبوا إلى العرب يقولون :

(إننا نفضلكم على البيزنطيين مع أنهم من أبناء عقيدتنا، لأنكم تحفظون عهودكم معنا وتقيمون موازين العدل بين الناس ويعتبر حكمكم علينا أفضل من حكم غيركم، الذين اغتالوا أموالنا ونهبوا أديارنا .

ولقد أغلق سكان أرما أبواب مدينتهم فى وجه جيش هرقل، وأخبروا المسلمين أنهم يفضلون حكمهم وعدلهم على ظلم الإغريق وإن التزام الفاتحين المنتصرين بهذه المبادئ التى يأخذونها على عاتقهم، وتلك الإنسانية الرخيمة التى راعوها فى حملاتهم متسمة بمبادئ العدل والرحمة التى أرساها أبوبكر فى سنوات الفتح الأولى.

فلقد عامل المسلمون الظافرون المسيحيين معاملة كلها تسامح واستمر ذلك عدة قرون ونستطيع أن نقول :

(إنَّ القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن إرادةٍ ورغبةٍ، وإنَّ العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا الحاضر بين جماعةً المسلمين لدليلُ واضحُ على هذا التسامح).

ويقول السير توماس فى كتابه (انتشار الإسلام) ص ٦٠ وما بعدها :

(حقا إن الكنيسة المسيحية قويت وتقدَّمت فى رعاية المسلمين وحكمهم فلم يحل الحكم الإسلامى بينهما وبين الانتعاش والرقى بل وأن النساطرة لم تتفجر بينهم الحمية الدينية إلا بعد أن دخلوا فى حكم الإسلام بما لا عهد لهم به من قبل فنشروا المسيحية تحت راية الإسلام وبلغوا بدعوتهم الصين والهند تحت رعاية الخلفاء، وإذا لم يكن نعير النساطرة من أهل النصرانية ما لهؤلاء من النشاط والهمة فى نشر دعوتهم الدينية فليس هذا ذنب المسلمين ولا ذنب حكامهم، ولقد كانت جميع المذاهب المسيحية تتمتع بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام هم الذين

يمنعون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع وليس أدل على دموية المسيحيين فى القرب من بعضهم البعض مثل مذبحة باريس الذى ذبح فيها الكاثوليك أربعين ألفاً من البروتستانت والحرب الدائرة بين الطائفتين فى أيرلندا حتى اليوم، كما أن المسيحيين البيزنطيين قد ذاقوا حد السيف على يد إخوانهم المسيحيين إبان احتلال القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م وقد عدَّد السير توماس حوادث النكاية بين المذاهب المسيحية وبيَّن كيف كان الحكام المسلمون يتدخلون لإقامة العدل وإنصاف المظلومين من غير تحيز وبمنتهى التسامح ...... ثم يستطرد قائلا :

" تحت نظام من الأمن يكفل حرية الحياة والملك والعقيدة الدينية تمتع المسيحيون وعلى الأخص فى المدن بثروات ونجاح كبير فى عصور الإسلام الأولى، فكان منهم أرباب النفوذ الواسع فى قصور الخلفاء)، وادلك على ذلك بشواهد كثيرة فكان منهم الوزراء والكتاب وغيرهم ممن يحيطون بالأمراء وأشار إلى أمثلةٍ للتسامح فى بناء الكنيسة والانفاق عليها فى شمال الجزيرة والعراق والشام، ومن هذه الكنائس "كنيسة أبوسرجة" فى مصر القديمة وقد بنيت فى العهد الإسلامى الأول بمصر، كما أن والى الأمويين فى العراق وفارس (خالد العشرى) بنى لأمه المسيحية كنيسة لتتعبد فيها فى العهد الأول للدعوة، فى أيام الحرب بين المسلمين والروم المسيحيين، هل ترى مثل هذا فى الدول المسيحية وبالأخص الغربية التى تضع القيود الغربية

على ذلك؟! وهل رأينا مسلماً يمكن أن يستوزر عندهم مهما بلغ شأنه لقد تحوّل كارلوس منعم إلى الكاثوليكية وهومسلم ليتأهل للتقدم فى المناصب السياسية فى الأرجنتين حتى وصل لرئاسة الجمهورية ولواستمر على إسلامه لما أصبح شيئا يذكر .

وفى أمريكا الشمالية نفس الوضع مشوب بعنصرية قاتلة تلاحقه أينما كان، أما اليهود الآن فالأبواب مفتوحة أمامهم بلا قيود، أما المسلم فالاضطهاد الدينى الدولى لأن المسلم يجب إبعاده من قبل حكومتها فى بلاد تدّعى رعاية حقوق الإنسان والمساواة، قولاً لا فعلا لأن معاييرها مزدوجة القياس، ملونة التطبيق .

وفى الإسلام منذ عصوره الأولى معاوية يعين آل سرجون النصارى فى وظائف مهمة، وكان منصور بن سرجون وزيراً، وعين ابن أثال عاملاً على ولاية حمص، وعدد من مستشاريه من الموارنة.

" وكان دير السلطان فى القدس مملوكا لأحد السلاطين المسلمين وأهداه صلاح الدين إلى أقباط مصر بعد انتصار المصريين مسلمين وأقباطاً على الصليبيين، وقام أقباط مصر بتحويل هذا الدير إلى دير السلطان "

وقد ذكر الدكتور إدوارد الذهبى (مرجع سابق) نماذج للوحدة الوطنية فى مصر " أن مطرانية أبوتيج كبرى مطرانيات أسيوط على أرض تبرّع بها المرحوم محمد بك همام من أعيان قرية النخيل، وقد بنيت الكنيسة المرقسية بالإسكندرية فى ولاية عمرو التالية وفى خلافة

معاوية، كما أن جامع أحمد بن طولون من تصميم مهندس معمارى مصرى قبطى والأمثلة كثيرة ومتعددة عن سماحة الإسلام .

ويقول جوبين فى كتابه " تدهور الإمبراطورية وسقوطها " :

(لقد منح محمد لمن أظلهم حكمه من غير المسلمين الأمان فى أشخاصهم والحرية فى تجارتهم وملكية أموالهم، والحرية فى عبادتهم) .

ويقول الدكتور روبرت بريفولت :

(إنَّ الحكومة الدينية - يقصد العالم الإسلامى - لم تكن أمة متعسِّفة ولا متعصِّبة فلا إظلام، ولا منع لحرية الفكر، ولا محاربة لمواهب العلم وثورة البحث والمعرفة، على العكس من طابع العالم الأوروبى والإغريقى والرومانى)

ولقد دخل المسلمون إلى فلسطين ولكنهم لم يرغموا أحداً من اليهود أوالمسيحيين على تغيير دينهم، لكن بالتدريج بدأ التحول إلى الإسلام، وبسرعة أصبحت اللغة العربية أوسع اللغات انتشارا وفى القرن الثالث عشر أصبح الإسلام ديانة الأغلبية ) [(١)]

ويقول موير :

(إنَّ سماحة الإسلام مع أبناء الشعوب المغلوبة فى الحرب وعدلهم ونزاهتهم ومثاليتهم تكشف الصورة العكسية لطغيان الرومان ومعصيتهم، ولقد تمتع المسيحيون فى الشام بمزيد من الحرية تحت حكم الفاتحين العرب،

---

( ١ ) - كتاب القس أكرم لمعى ص ٥٩ ( الاختراق الصهيونى للمسيحيين ) دار الشروق .

وأكثر مما وجدوه منها تحت حكم هرقل، ولم تكن لديهم أدنى رغبة فى العودة إلى الدولة السابقة على حكم المسلمين ) .

وقد قرر ذلك أيضا السير توماس أرنولد حيث يقول :

( ولقد تمتعت الكنائس المسيحية المختلفة بعهد من الحرية والتسامح الدينى فى القرن الأول لحكم العرب، الأمر الذى لم يكن معروفاً من قبل لأجيالٍ طويلةٍ فى ظل الحكم البيزنطى ) .

ويقول بربا ديوك :

( إنَّ المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى الدنيا بنفس السرعة التى نشروها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم المادى لن يستطيع أن يقف أمام حضارتهم ) .

فالذين يسبون الإسلام أويسيئون إليه أوينتقدونه من واقع الإلحاد أوالتحدى أوالكراهية من الغرب أوالمستشرقين أوالمتغربين من أبناء جلدتنا لا عبرة بقولهم ؛ لأن لهم دوافعهم وهى تحطيم الهوية العربية الإسلامية لغرض الهيمنة والسيطرة على عالمنا الخاص ونشر صورة مشوّهة عن الإسلام مليئة بالمغالطات فى الجانب المعنوى، أما فى المجال السياسى والثقافى لهذه الحملة اللادينية المحمومة، فالأمر أشد خطورةً، وقد نشر الأستاذ خورشيد أحمد فى كتابه " الإسلام والتعصب " مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية " ٤٥ " .

ففى اليونان أُبيد شعب وريا عن آخره حتى النساء والأطفال

والشيوخ ولم يبق منهم أحد، فقد أفنى أكثر من ثلاثمائة ألف شخص تماما ولم يبق فى إسبانيا وصقلية، وكان يذبح المسلمون كالبهائم ولم يترك مسلم واحد حيا أوغير منفى خارج البلاد، وفى دول البلطيق تحول المسلمون من أكثرية إلى أقلية باستخدام الإرهاب والتعذيب المستمرين، وفى اليونان دمرت جميع المساجد وأغلقت نهائيا وفى فلسطين طرد شعب كامل ليحل محله مجموعة من اليهود من روسيا وأوروبا الشرقية ومن شتات اليهود فى العالم بدعم أمريكى يفوق الخيال من شعوب ومعونات مالية واقتصادية وتكنولوجيا متطورة فى مواجهة الدول العربية والعالم الإسلامى قاطبة، ومهما بلغت إسرائيل فى انتهاك حقوق الانسان أوالقتل والتقتيل فى العرب والعدوان على دوله أوشعوبه فحماية الفيتوفى مجلس الأمن إزاء أى قرار يدين انتهاكاتها لحقوق الانسان مع أن التاريخ لا يعرف دولة أخرى أقحمت على أرض وشعب وحلّت محله على أساس عنصرى يرفض الإعلان بأية حقوق قومية لأصحاب البلاد الأصليين استهدف اقتلاع شعب من المسلمين والمسيحيين من أرضه ومزارعه ومنازله واستخدمت ومازالت تستخدم أفظع وسائل القوة العسكرية وتحويله إلى لاجئين وتشريده فى أنحاء العالم فى تحدٍ سافرٍ للقانون الدولى ومواثيق حقوق الإنسان غير حماية أمريكا المطلقة ووضع الشعب الفلسطينى بمسيحييه ومسلميه فى السجن الكبير وإخضاعهم لتشريعاتٍ جائرةٍ تصادر أراضيهم وأملاكهم لإقامة مستوطنات لحفنةٍ من اليهود تمارسه السلطات الإسرائيلية

للاعتقال الإدارى وهدم المنازل والإبعاد والعقوبات الجماعية، وإسرائيل وحدها دون دول العالم التى أصدرت قانوناً يخول للسلطة تعذيب الفلسطينيين دون تفرقة بين مسلم ومسيحى وتجعله وسيلة مشروعةً لانتزاع اعترافاتهم، ولن تتغير هذه المأساة طالما ظلت إسرائيل تتمتع بمساندة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد بلغت الوقاحة بأحد وزرائها (شارون) بتهديد الفلسطينيين بالاغتيال دون أن يزعج ذلك وزارة الخارجية الأمريكية أوأى مسئول أمريكى، ولوصدر هذا التصريح من عربى لقامت وسائل الإعلام بذبح العرب وانتهاكهم ووصم دينهم بالإرهاب والرجعية والبربرية، ولأصدر الكونجرس الأمريكى قانونا بمحاكمة العرب البرابرة عن هذه الأقوال، اننا نغتال بإعلامهم كل يومٍ بل كل ساعةٍ ولا نحرك ساكنا .

واستمرأنا الذلة ويكفى أنهم قتلوا الوسطاء الدوليين أمثال لورد موين وبرنادوت ولم يحاسبهم المجتمع الدولى بل تولى بعضهم رئاسة الوزارة فى إسرائيل واستقبلوا فى الغرب كقادة أشراف، وقد تناسى اليهود أنهم فى العصور الوسطى وما تلاها كانوا فى حماية الدول الإسلامية ولا أدل على ذلك من اضطهاد الغرب لليهود الذين استوطنوا أسبانيا منذ عهد ملوك القوط (الوثنيين) وبعد دخول المسيحية لأسبانيا واجهتهم المصائب، ففى سنة ٣٠٣م صدر نداء من المجلس الكنسى يدعوإلى عدم الاختلاط باليهود فى المسكن والمأكل ثم فى عام ٥٨٩ م فى بلدة طليطلة صدرت قرارات المجلس الكنسى دعت إلى منع المسيحيين من إسناد أى أعمال إلى اليهود، ثم فى

القرن السابع منعوهم من أداء شعائرهم ثم صدر قرار يلزم كل يهودى بالتحول إلى المسيحية وأعطوهم مهلة سنة للتحول أوترك أسبانيا، ومن بقى منهم بعد المهلة ألزموهم بتسليم أبنائهم من سن السابعة إلى الكنيسة لتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية، وفى سنة ٦٥٣م صدر قرار من الملك بقتل أوحرق كل من لا يؤدى منهم الشعائر المسيحية وفى أواخر القرن السابع صدرٍ أمر ملكى بتسليم اليهود سواء من اعتنق المسيحية أم لا ليصبحوا عبيداً ووزعت أملاكهم على أسيادهم الجدد إلى أن جاء الفتح الإسلامى وحررهم وبدءوا العصر الذهبى لليهود فى الأندلس إلى أن طردوا من أسبانيا سنة ١٤٩٢م بأمر ايزابيلا وفرناندوملكى أسبانيا بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين فى أسبانيا وقد قبلهم سلطان تركيا البلد الإسلامى، وقد احتوى سجل التاريخ على مأسى محاكم التفتيش للمسلمين واليهود والعلماء من إحراق بالنار إلى الرمى فى الزيت المغلى، وإخراج الأظافر وتقطيع أجزاء الجسم قطعة قطعة وقد عذب ونكل بهم وقتلوا واحرقوا وأُبيدوا فى أسبانيا وصقلية، فقد كان التنكيل باسم الدين بشكل الحرق والشنق فظائع تقشعرُّ لها الأبدان واعتذرت مؤخراً أسبانيا لليهود وحدهم عما لحق باليهود من جرائم فى أسبانيا، ومازال دم المسلمين الذى أهدر بوحشيةٍ بلا اعتذار مع أن حضارة أسبانيا قامت بالإسلام ويبدوأن المسلم دمه مستباح، أما اليهودى فبعد قرونٍ يعتذر له عن مساوئ الجرائم التى ارتكبت فى حقه، أما شعب فلسطين أوشعب البوسنة أوشعب كوسوفوأوالهند أوكشمير أومسلمو الصين والفيلبين

أوغيرها من الأماكن التى تشهد التنكيل فى هذا العصر بالمسلمين لا تجد إلا السكوت عما يرتكب فى حقها من جرائم لأنهم يعتبرون فى نظر الغرب وأمريكا الهنود الحمر لهذا العصر والذين مازالوا تحت سطوة الأمريكى الشمالى والجنوبى من عالمٍ آخر ليس له الحق فى أن يحيا حياة السيادة، إنما يجب أن يظل عبداً لأسياده المسيطرين على القوة والسطوة فى العالم الجديد، وقد غفر الغرب المسيحى بزعامة أمريكا لليهود منذ تعرضّ المسيح للصلب على يدهم، وأصبح الغرب تحت السطوة اليهودية المالية والإعلامية يحصر عداءه للإسلام وحده حيثما وجد وأينما كان، رغم أن إسرائيل تحكمها عصابة إرهابية تمارس الاغتيال ويلقى الموساد معاونة أجهزة المخابرات الغربية وفضائحه تزايدت علانية فى الأردن وسويسرا ثم بريطانيا فى انتهاك صارخٍ لسيادة الدول ولا تدرج إسرائيل ضمن الدول الممارسة للإرهاب فى نظر الحكومة والكونجرس الأمريكى ويقتصر الجدول على الدول الإسلامية (إيران، العراق، السودان، ليبيا) ثم إن أية دولة أخرى إسلامية ترفع صوتها سوف تدرج ضمن الدول راعية الإرهاب ثم الجديد الآن قانون الاضطهاد الدينى الذى أصدره الكونجرس الأمريكى لإرهاب باقى الدول الإسلامية ويتغافل الكونجرس عن الدولة العنصرية التى تضطهد المسيحية والإسلام معاً، فالكنيسيت الإسرائيلى أصدر فى سنة ١٩٨٦ قانوناً بأن إسرائيل دولة الشعب اليهودى والأديان الأخرى وبعض مواطنيها من مواطنى الدرجة الثانية. إننا لا نغفل فى هذا المقام دور أبناء جلدتنا من المسيحيين الشرقيين ودروهم

التاريخي غير المنكور أوالمجحود وكما قال الدكتور وليم سليمان في تعليقٍ له في إحدى الندوات :

(إنَّ المسيحيين في المجتمعات العربية قاموا بدورٍ أصيلٍ، ليس فقط في مواجهة الاستعمارات، ولكن منذ بدء دخول الإسلام إلى مصر . يكفي أن تقرأ كتاب عبد الرحمن بن عبد الحكم أول مؤرخ إسلامي للفتح الإسلامي إلى مصر وما كتبه عن قبط مصر، وكان يكتب بعد قرنينٍ من الفتح، لقد كان بطبيعة الأمر يسجل كيف عاش المصريون جميعاً خلال هذين القرنين ؟!

ومن واقع تاريخ مصر اعتبر الإسلام نقلاً عن عبد الله بن عمر (قبط مصر أقرب السكان خارج الجزيرة العربية وأسمحهم وأفضلهم عنصراً، هذا إنصاف لقبط مصر لم تصفه الإرساليات المسيحية) .

## توحيد الله دعوة سماوية أحادية المصدر:

تخاطب الرسالات الإلهية في الإنسان فطرته التي فطره الله عليها، إنها كلها تمجد الحق والعدل، وتحارب نزعات الانحراف والفساد بلا عصبية لجنسٍ أولونٍ ولا امتيازٍ لأمة دون أمة إلا بالتقوى والعمل الصالح، في إطارٍ من توحيد العقيدة، وهي جوهر الرسالات السماوية . وقد دعا الرسل والأنبياء إلى دين واحد مصدره الإله الواحد بأغراض وأصول وأهداف واحدة . فدين الله لم يختلف من زمن نوح . فرب نوح هورب إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الرسل .

والبشر هم عباد الله سواسية أمامه فى عدله وأحكامه، فقد استخلف الإنسان فى الأرض فكانت خلافته للبشر كافة، ومن عمل عملاً صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع:

(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، وكلكم لآدم وآدم من تراب، إنَّ أكرمكم عن الله أتقاكم ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ) أخرجه : مسلم فى كتاب الحج.

والحديث :

(لن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدكم على ما تحابون عليه ؟:

أفشوا السلام بينكم والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، فقالوا: يا رسول الله أكلنا رحيم، قال : إنه ليس برحمة أحدكم خاصة ولكن رحمته العامة، رحمته العامة) أخرجه: مسلم.

وقد جاء فى الاجتماع التاسع والأربعين بعد المائة المنعقد بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٥ بمدينة الفاتيكان (بأن الأمم أسرة واحدة تنحدر من أصل واحد، إذ أن الله قد أقام كل أمة من البشر على وجه الأرض كلها، كما أن لها فى النهاية هدفاً واحداً هوالله الذى شمل الجميع بعنايته وأبان لطفه وتدبيره).

وجاء فى فقرة أخرى من التقرير :

(إن الكنيسة تنظر بعين الإكرام والإجلال إلى المسلمين الذين

يعبدون الله الأحد الحى القيوم الرحمن القدير، فاطر السماء والأرض الذى كلَّم البشر ؟

فالمسلمون دأبهم الاستسلام من صميم نفوسهم لأحكام الله الخفية، كما استسلم لله إبراهيم . يتخذونه لإيمانهم أسوة حسنة أجل أنهم لا يدينون بيسوع إلهاً ولكنهم يجلُّونه نبياً، كما أنهم يكرمون والدته العذراء مريم ويتوجهون إليها أحياناً بخالص الدعاء، وهم إلى ذلك يترقبون يوم الدين يوم يجازى الله الناس جميعاً بعد أن يبعثوا ومن ثم فهم يراعون مكارم الأخلاق ويعبدون الله خصوصاً بالصلاة والزكاة والصوم .

والكنيسة الكاثوليكية لا تتنكر لشئ مما هو صحيح ومقدَّس فى هذا الدين وتنظر بإخلاص واحترام إلى هذه الشرائع وتستحث أبناءها على أن يشهدوا على إيمانهم بالجد والتعاون مع اتباع هذا الدين والديانات الأخرى وأن يعترفوا بما لديهم من حسنات روحية وقيم اجتماعية وثقافية يعملون على صيانتها وتعزيزها وإن خالفت فى كثير من القضايا ما تملكه الكنيسة وتقول به إلا أنها تحمل غالباً من تلك الحقيقة التى تنير كل الناس .

فالدعوة إلى توحيد الله هى دعوة سماوية نزل بها الوحى على الرسول لا تختلف من رسول إلى رسول، وهى فى جوهرها واحدة على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، فهى أساس العقيدة المنزَّلة على كل الأنبياء والرسل بخلاف التشريع الذى ينظم حياة الجماعة، وهويتطور ويتغيَّر على أيد الرسل وفقاً للزمان والمكان ومصلحة

البشرية، فالاعتراف بالوحي على عيسى وهورسول يلزمنا بالاعتراف بالوحي على كل رسول، إذ لا تفريق بين الرسل والإيمان ببعضهم دون البعض، رأى يسنده منطق سديد ورأى صحيح وأيَّد ذلك القرآن بقوله في:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥).

فالرسول ﷺ والمؤمنون من أمته لا يكمل لهم الإيمان إلا إذا آمنوا بالله والملائكة وبالكتب السماوية المقدَّسة التى نزلت جميعاً قبل نزول القرآن[١]. والرسل المنزَّلة عليهم وغيرهم من الرسل البشرية لا تفريق بين رسولٍ ورسول، فكلهم رسل الله إلى البشرية جمعاء يحملون رسالة واحدة من مصدرٍ واحدٍ تربطهم وحدة المصدر والهدف. فكل الأديان السماوية صدرت عن الذات الإلهية لإخراج الناس من الظلمات إلى النور وليعلم الناس الكتاب والحكمة فى تتابعٍ زمنى وتسلسلٍ مرحلى بعثة للأنبياء والمرسلين، فدين الله واحد وشرعه واحد.

قال الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣).

فالأديان السماوية الثلاثة تؤمن بوجود الله والجن والملائكة ونزول

---

(١) كتاب «محمد رسول الله» - بشر زخارى ميخائيل - الطبعة الثالثة - دار الكتاب ص ٨٩، ٩٩.

الكتب السماوية على أنبيائهم بوحى من الله وأن الرسل مبعوثو الله إلى الأمم ليؤمنوا بالغيب والقيامة يوم الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار والقضاء والقدر والاختلاف بينهما فى العبادات لا القيم الأخلاقية الحميدة كالصدق والأمانة والزهد وغيرها، وفى الإسلام لا يؤمن المسلم إلا إذا قال قوله تعالى :

﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل : عمران ٨٤) .

وقد جاء فى الحديث :

( لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ) أخرجه : البخارى فى الصحيح، ومسلم فى الصحيح " كتاب الفتن " .

والدارس لشعائر الإسلام وأركانه التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وحج يجدوها كلها تصب فى معانٍ واحدة تحقق مقاصد الشريعة الإسلامية وهدفها غرس عقيدة التوحيد، فإذا تشرّبها الإنسان كان نموذجاً إنسانياً سوياً فى معاملته وأدائه مع أسرته ورفقته من بنى الإنسان وعلاقاته مع الآخرين وهذا ما تلمسه فى هذا التجمع العالمى السنوى وفى صلاة الجماعة أو الفردية الوحدة الكاملة فى الأخوة الإسلامية الإنسانية، وخير ما نختم به هذا الفصل ما جاء بكتاب الأستاذ عباس العقاد " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " (مطبعة نهضة مصر ) ص ١٨، ١٩ :

( ..... ولكنَّ الناظر القريب قد يدرك شمول العقيدة الإسلامية من مراقبة أحوال المسلم في معيشته وعبادته ويكفي أن يرى المسلم مستقلاً بعبادته عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن ليعلم أنه وحدة كاملة في دينه ويعلم من ثم كل ما يرغبه في ذلك الدين أيام أن كان الدين حكراً للكاهن، ووقفاً على المعبد وعالة على الشعائر والمراسم مدى الحياة . لقد ظهر الإسلام في إبَّان دولة الكهانة والمراسم، وواجه أناساً من الوثنيين أوأهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود إلى حالة كحالة الوثنية في تعظيم الصور والتماثيل والتعويل على المعبد والكاهن في كل كبيرة وصغيرة من شعائر العبادة ولاح للناس في القرن السابع للميلاد خاصة أن " المتدين " قطعة من المعبد لا تتم على انفرادها ولا تحسب لها ديانة أوشفاعة بمعزل عنه، فالدين كله في المعبد عند الكاهن، والمتدينون جميعاً قطع متفرقة لا تستقل يوماً بقوام الحياة الروحية ولا تزال معيشتها الخاصة والعامة تثوب إلى المعبد لتتزود منه شيئاً تتم به عقيدتها ولا تستغني عنه مدى الحياة، فلما ظهر الإسلام في تلك الآونة ظهر الشمول في عقيدته من نظرة واحدة ظهر أنه وحدة كاملة في أمر دينه يصلِّي حيث يشاء ولا تتوقف له نجاة على مشيئة أحد من الكهان، وهومع الله في كل مكان " فأينما تولوا فثم وجه الله "

ويذهب المسلم إلى الحج فلا يذهب إليه ليغتنم من أحد بركة أونعمة يضفيها عليه ولكنه يذهب إليه كما يذهب الألوف من إخوانه ويشتركون جميعاً في شعائره على سنة المساواة بغير حاجة إلى الكهانة

أوالكهان، وقد يكون السدنة الذين يراهم مجاورين للكعبة خداماً لها وله يدلونه، حيث يطلب منهم الدلالة ويتركهم إن شاء فلا سبيل لأحد منهم عليه فإذا توسَّع قليلاً في العلم بشعائر الحج علم أن الحج لا يفرض عليه زيارة قبر الرسول وأن هذه الزيارة ليست من مناسك الدين وأنها تحية منه يؤديها من عنده غير ملزم، كما يؤدى التحية لكل رفيقٍ عزيزٍ محبوبٍ لديه، وإذا توسع قليلاً في مكان ذلك الرسول من الدين قرأ من القرآن الكريم:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ (سورة الكهف : ١١٠).

وقرأ فيه ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ (الشورى : ٤٨).

وقرأ فيه ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور: ٥٤).

وقرأ فيه ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ (ق: ٤٥).

وقرأ فيه ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢٢).

وقرأ فيه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨).

وقرأ فيه آيات لا تخرج في وصف الرسالة عن معنى هذه الآيات.

ومن الأقوال العذبة المنصفة وما يؤيد استخلاصنا والفضل ما شهد به الأجنبى قول الأستاذ إسماعيل بلو:

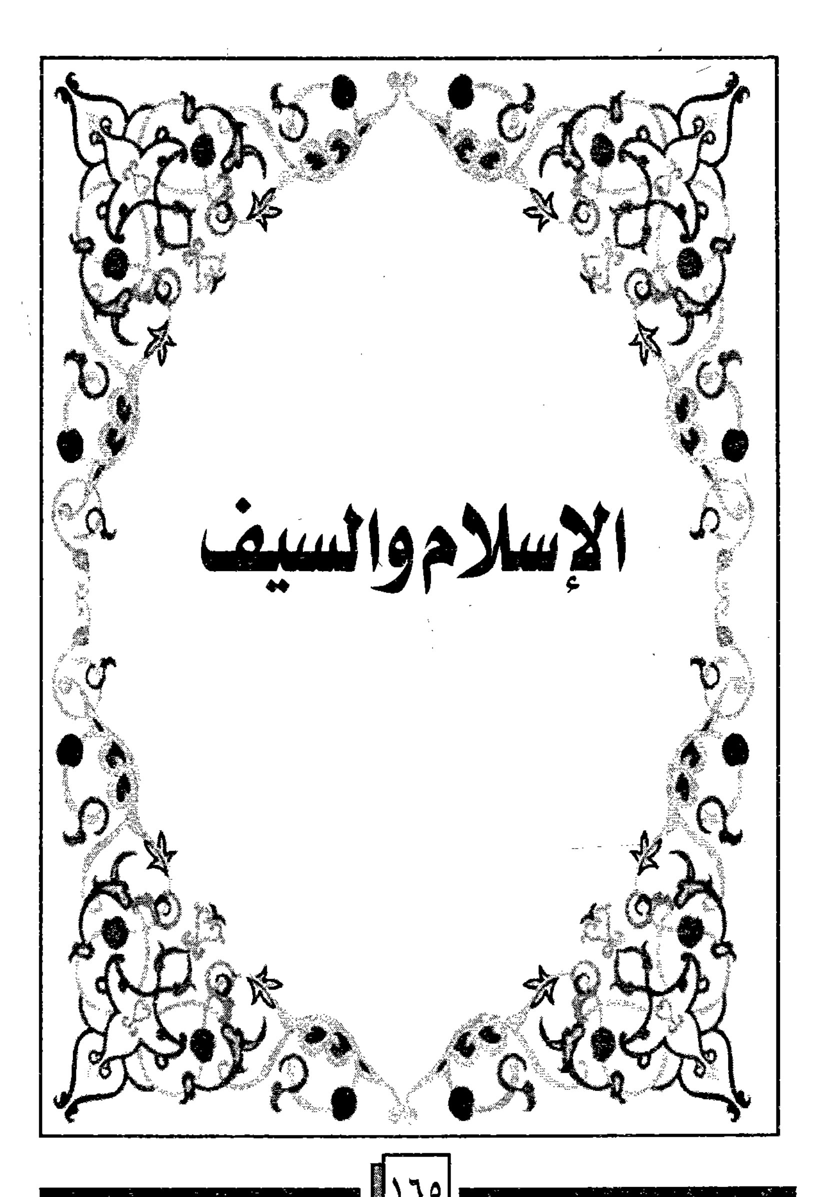
(إننى رجل متخصص فى الدراسات النظرية لعلوم الحضارة الاجتماعية وقد أدهشتنى النظم الاجتماعية التى قررها الإسلام وعلى الأخص الزكاة وتشريع المواريث وتحريم الربا وتحريم الحروب العدوانية وفريضة الحج وإباحة تعدد الزوجات فى الحدود المرسومة، وشتان بين هذا الدين وبينٍ مبدأ الزواج من واحدة .الذى تؤمن به الشعوب الأوروبية شكلاً ولكن دون وفاء) .

إنَّ التقوى والصلاح والصلاة والصيام والزكاة والخلق الحسن والمعاملة الطيبة كلها فضائل ترضى الله، والله ليس بحاجةٍ لممارسة هذه الفضائل وإنه فى غنى عنها ولا يحتاج لشئ منها لذاته المعبودة ولا إلى أحد من الخلق قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إنَّ الله لغنى عن العالمين ﴾ (العنكبوت : ٦) .

فالله حدد المنهج لصالح الخلق فيما بينهم وبعضهم البعض وجعله أساس عبادة الله فهو لصلاح الإنسان من خلال الطاعة بالعبادة وإدراك أن الله هو الأعلى الذى يثيب ويعاقب، والإسلام جعل التقوى والعمل الصالح أساس الثواب وقد قال رسول الله ﷺ لرجل :(انظر وجوه القوم ؟ فقال له النبى : ما رأيت ؟ فقال الرجل : رأيت أبيض وأسود وأحمر : فقال الرسول : إنك لا تفضلهم إلا بالتقوى والله غنى عن العالمين فمن جاهد فلنفسه وعلى الله توكلنا وإليه نبيب) .





# الإسلام والسيف



## حرية العقيدة فى الإسلام

ساير الافتراء عن أثر الجهاد فى الإسلام المستشرقان الفرنسيان موردنيل وزوجته فى كتابهما الكبير (الحضارة الإسلامية) الصادر سنة ١٩٧٦ فى السطر الأول منه قولهما : (إن الإسلام قد فرض نفسه بقوة السلاح على إمبراطورية كبيرة) [١]

لقد قال الإسلام في ذلك قولاً صريحاً فى قوله تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة ٢٥٦) ، والتى سبق أن أوضحنا مدلولها وتناولنا ذلك تحت عنوان (حرية العقيدة فى الإسلام) فى هذا الكتاب ، إذ نادى الإسلام بحرية الأديان منذ ١٤٠٠ سنة ، ولم يكتف بذلك بل كانت تطبيقاته كلها تتفق وهذا الحق (حرية العقيدة) كأصل من أصول الدين ، وهذا العمل من مفاخر الدولة الإسلامية ، ويعد أعظم حق من حقوق الإنسان ، أما افتراء مثل هؤلاء المستشرقين والمتقولين على الإسلام فإنه أسدل ستارا غليظا مظلماً على كل منطق علمى لدى الباحث لا يتفق والأسلوب العلمى فى البحث أوالدراسة وفيه من الضلالة والافتراء والتعتيم على الحقائق ، فلا يعقل أن تفرض مجموعة صغيرة من شبه الجزيرة العربية دينهم بقوة السلاح على أكبر دولتين فى العالم وهما دولتا الفرس والرومان اللتان كانتا تحكمان العالم فى وقت ظهور الإسلام .

فشريعة الإسلام هى المساواة التامة بين البشر ، أما الشرائع الأخرى فالأمر مختلف .

---

(١) الدولة والسلطة فى الإسلام ص ١٦ دكتور محمد خاتمى .

* شرائع الهند : امتياز البراهمة على البوذيين
* فى الصين : امتياز لأعيان الدولة على باقى الشعب
* اليونان والرومان : امتياز للأشراف على العامّة، وامتياز لجنس الرجل على جنس المرأة لدى الجميع .

أما فى الإسلام :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣ ) .

وحديث الرسول ﷺ : " الخلق كلهم عباد الله وأحبّهم إليه أنفعهم لعباده "

ويفرط الغرب في الكيل للإسلام بافتراءات دون سند علمي ينمّ عن جهل المثقفين بحقائق الإسلام بل وشاركهم المتغربون منّا عن قصد أوغير قصد، وإنّا نؤكد بأسلوب علمى أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف وإنما انتشر بالدعوة والموعظة الحسنة، واستجابة للأمانة العلمية نستعرض أحداثاً من التاريخ الذى لا يأتيه الزيف عن حقائق انتشار الإسلام لنبطل بالواقع التاريخى قول القائلين : إن الإسلام انتشر بحد السيف، فما رفع سيف على إنسان ليدخل الإسلام، ولا أسلمت أمة وعلى رقاب أهلها السيف، إنما السيف كان لأهل السيوف المسلولة على الإسلام وأهله، وقد دخل الإسلام إلى أماكن متعددة على سطح المعمورة عن طريق الإسلام نفسه، فهو الذى فتح القلوب واستمال الأفئدة، والفضل لله وحده، وصدق الله فى قوله

سبحانه وتعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الحجرات: ١٧).

ولقد لاكت كُتُبُ بعض المستشرقين والمبشرين وألسنتهم أكاذيب حول الإسلام مثلما قال المبشر نلسون: (أخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب) وهو قول مرسل تناهضه الشواهد التاريخيه وثوابتها التى أجمع عليها المنصفون من الكتَّاب، كلها تنطق بأن الشعوب نعمت فى ظل الإسلام بالحرية الدينية، وكان الإسلام نعم الفاتح الذى حقق المساواة وراعى حقوق الإنسان صاحب الأرض، وترك له حرية الدين فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. وهى قيم إنسانية.

"ولقد سلك الإسلام فى انتشاره فى الأرض مسالك شتى، ودخل إلى القلوب من مداخل كثيرة، فما كانت الفتوح إلا إحدى وسائل المسلمين لفتح الطريق أمام الدين ليدخل إلى القلوب، فأما المدخل الأكبر فكان الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، يحملها المسلم المؤمن إلى غير المؤمن، ويبين له فضائل الإسلام وما يفتح لمعتنقه من أبواب الخير والأمل واطمئنان النفس، فيستجيب الرجل للإسلام ويدخل فيه عن طيب نفس وعن أمل فى عظيم رحمة الله وعريض ثوابه[1].

---

(١) - الدكتور حسين مؤنس كتاب " الإسلام الفاتح " الناشر الزهراء للإعلام العربى ص ١٧ .

بل وربما كان من معجزات التاريخ الكبري أن جيوش المغول التى اجتاحت آسيا كلها تقريبا ودمَّرت فى طريقها كل مقاومة، وحوَّلت بغداد ودمشق ومئات من المدن قبلها إلى ما يشبه الرماد، ثم اجتاحت روسيا وهزمت أقوى جيوش أوروبا مجتمعة، عند نهر الفستولا هزيمة مروِّعة، إذ لم يثبت أمامها أكثر من ثلاثة أيام، وهذه القوة الآسيوية القادرة فى كل مكان لم يمض على انتصاراتها إلا سنون معدودة تقل عن العشرين حتى شرح الله صدورهم للإسلام فإذا بهم يذعنون لكلمة الحق و يهتفون فى أوروبا الشرقية - كما فى بغداد المخرَّبة تحت أقدامهم - " لا إله إلا الله محمد رسول الله "

كما أن انتشار الإسلام بين الإفريقيين إذا روجعت أسبابه جميعاً فهى لأنه يمتلك حضارة إنسانية ممتازة لم تكن فى العالم حضارة تضارعها وتقوى على مغالبتها، وأن وصول الإسلام إلى القارة الإفريقية كان ملازماً لوصوله إلى القارة الأوروبية ذاتها و امتداده إلى الأقطار البعيدة من القارة الآسيوية، وقد كان امتيازه وحضارته سبباً كافياً لسيادته على العالم المعمور و العالم المجهول فبينما كان الأوروبيون يعولون على السحر كان أطباء العرب يجرون عمليات الجراحة الصعبة و يحسنون الانتفاع بكثيرٍ من العقاقير ولا تزال طريقة العلاج عندهم مما يستفيد منه الأطباء فى علاج بعض الأمراض إلى هذه الأيام.

وقد تعرَّض أقباط مصر و مسيحيو الشام إلى اضطهاد بربرى من

الروم بسبب اختلاف المذاهب، إلى حد إقامة المذابح على هؤلاء المضطهدين قروناً متتابعة لم ينقطع فيها سيل الدماء البريئة إلا على أيدى المسلمين الذين حرروا هذه البلاد من ربقة الاستعمار الرومانى المسيحى الذى لم يرع حرمة لوحدة ديانتهم معهم و لكن انتهكها لاختلاف المذاهب أو الرأى.... أين هذا من الإسلام وسماحته و حرية الاعتقاد للأديان الأخرى ؟! و قد قال فى هذا جيوف فى كتابه " سقوط الإمبراطورية الرومانية " :

(إنَّ العرب استقبلوا فى مصر كالمنقذين للكنيسة اليعقوبية، وفى أثناء حصار منف عقدت معاهدة سرية نافذة بين جيش منتصر وشعب كان من العبيد وبوثيقة الضمان هذه تحطم طغيان المذهب الرومانى كنسياً ومدنياً بالنسبة لاضطهاد المسيحيين المصريين)

و يقول أيضا توماس أرنولد فى كتابه الشهير " الدعوة إلى الإسلام" :

(إنَّ شمول العمران الإسلامى الإنشائى للتحرير من الاضطهاد الدينى حتى الشعب الفارسى نفسه يقول : فلمَّا تشتت شمول جيوش الدولة الفارسية، لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعب الفارسى الذى كان قد استغل بحكم ولاة الدولة الساسانية فى أواخر أيامها وأثار استياؤهم كثيراً من ضروب الفوضى والعنف .

و حيث استغل هؤلاء الولاة نفوذهم فى اضطهاد الفرق الدينية المخالفة لهم وقد أثار هذا الاضطهاد شعور الكراهية الشديدة الذى

أحسَّه الشعب الفارسى تجاه الدين المجوسى و تجاه الدولة التى شجَّعت الاضطهاد للفرق الدينية المخالفة ) .

ومن الكلمات القوية المعبِّرة فى هذا الأمر ما جاء فى كتاب "يوميات ألمانى مسلم " للدكتور هوفمان ترجمة د. عباس العماوى " ص ٤١ " نشره مركز الأهرام للترجمة و النشر إذ يقول :

(يا له من تناقض صارخ فالغزاة لم يسمحوا باستمرار الديانة المسيحية فى الكنائس فى ظل الحكم الإسلامى، وما الذى يمكن للسائحين الأجانب أن يعجبوا به أكثر من تلك التحف المعمارية مثل كنيسة استورا البيزنطية المثيرة، وكاتدرائية الروم الأرثوذكس والأرمن فى إسطنبول ؟ .

إنَّ الفارق الواضح بين التشدد المسيحى و التسامح الإسلامى يجد أصوله من تعاليم القرآن القاطعة بالتسامح نحو المؤمنين من أهل الكتاب ، والتى تطوَّرت إلى مدونة قانونية تفصيلية بحماية الأقليات و الأجانب معا ، فالآية "٢٥٦" من سورة البقرة تنص على أنه " لا إكراه فى الدين "

والتعددية الدينية واضحة بجلاء فى الآيتين :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة ٤٧ - ٤٨)

ويقرر القرآن أن الناس مختلفون متعددون وأن تعددهم هو الأمر الطبيعي وهذه مشيئة الله وهذا واضح أشد الوضوح ولا لبس به بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الشورى: ٨).

فهذه هي حقيقة الدين الإسلامي الذي يترك العقيدة وحريتها وحسابها عند الله، والمجتمع المسلم يستوعب كافة الملل والنحل الدينية في تسامح إذا خلصت النوايا في فهم الدين الإسلامي على نحو أفضل، وعرف مسيحيو الغرب أن المسلمين ينظرون إلى المسيح باعتباره أعظم أنبياء اليهود، وفي ظل التشريعات الإسلامية يسمح للمسيحيين بتنظيم أمور طائفتهم وبممارسة عباداتهم في الكنيسة، وكان غير المسلمين يعفون من أداء الخدمة العسكرية مقابل جزية عادلة قبل أن يظهر إلى الوجود رفض التجنيد تلبية لنداء الضمير بزمن طويل.. ويكتب الأستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام يوم ٢٤ / ٣ / ١٩٩٨ أن (يوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٤١٨ هجرية يوافق في التاريخ الميلادي الثلاثاء ٧ أبريل يكون قد مضى على فتح مصر الإسلامي ١٤ قرنا بعد أن أقام الرسول دولة في المدينة وأبلغ دعوته خارج حدودها ؛ فبعث برسائله إلى كسرى وإلى قيصر الروم ونجاشي الحبشة ومقوقس مصر، وكانت مصر - يومئذ - يحكمها الروم، وكان احتلالهم لمصر يزيد على الألف عام، وكان عهد

دقليديانوس الإمبراطور الروماني يسمى (عصر الشهود) لاضطهاد الرومان لأقباط مصر والذى بلغ حدَّ الإبادة وجاء بعده الإمبراطور جستنيان الأول وسار على نفس الدرب وقتل ٢٠٠ ألف قبطى بالإسكندرية وحدها .

وقد اضطهد الرومان مصر فى وقت وثنيتهم، وبعد أن تنصَّروا اشتد الخلاف المذهبى إذ طوعوًا المسيحية لحضارتهم الإغريقية، وقال عبد الجبار الهمراني :

(إنَّ النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصَّر روما ولكن النصرانية هى التى تروَّمت، ومن هذا الفرض نجد أن الإسلام انتشر فى الأقطار العربية (فلسطين / الشام / مصر / العراق) التى أجلى المسلمون عنها جيوش الروم وكسرى ومن فارس، ومن ثم دخلت الشعوب فى الإسلام طواعية واختيارا بعد أن انحلَّت الإمبراطوريتان الفاسدتان وسقط نظامهما، كما وصل الإسلام إلى أوروبا وكان دخول المغول الغزاة فى الإسلام وكذلك فى قارتى إفريقيا وآسيا بفضل الدعاة والتجار المسلمين وكذلك الهند وإندونيسيا والفلبين وماليزيا على يد التجار وتأثر أهل البلاد بسلوكهم الذى جذب إليهم الآخرين كما وصل إلى الصين فى القرن الأول الهجرى وحاليا جاليات فى أمريكا الشمالية والجنوبية والزنوج الأمريكان الذين وجدوا فى الإسلام إنقاذاً لهم من العنصرية العرقية فى أمريكا ،وكان ذلك عن طواعية واختيار منهم دون إكراه أوسلاح عملاً بقول الله تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا

أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (الشورى :١٥).

والحديث : " لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم " .

وقد يكون الداعية من أهل الدين والعلم أومؤمناً عادياً مشتغلاً بالتجارة أوحرفة من الحرف ، يرحل إلى بلاد أخرى طلباً للمعاش ، وإذا لقى غير المسلمين دعاهم للإسلام فيؤمنوا بما آمن به ويتبعوه ، لأن منهاجه الأسوة الحسنة ، فخلقه الكريم وحسن معاملته للناس ونظافته وتعاونه ، تحبب الناس فيه وفى دينه ، فيثير إعجابهم حتى تهوى أفئدتهم إلى ما يؤمن به لأنه أصبح قدوة لهم يحتذى به .

وقد قامت الطرق الصوفية بحمل رسالة الإسلام إلى نواحٍ ما كان الإسلام يستطيع الوصول إليها بالسهولة التى وصل بها ، عن طريق تنظيماتها الدقيقة ، ومراتب أهلها وما يعمر قلوب رجالها من إيمان ، فكانت بطبيعة تكوينها سبيلا فعالة ومنظمة فى نشر الإسلام ، وكل صوفى يعتبر نفسه داعية إلى الإسلام ، بل وكان من أهل الطرق مريدون من التجار وأهل الحرف ، وساروا على طريق الدعوة وتخلَّقوا بخلق الإيمان الصحيح ، ولزموا مكارم الأخلاق ، وراعوا أصول العبادات ، وصدقوا فى معاملة الناس وقنعوا من الرزق بالحلال .

فهذا هوالدين الإسلامى وحقائقه وأباطيل خصومه كما قال العقاد بحق فأين ما يدَّعونه على الإسلام من كذبٍ واختلاقٍ من ثوابت واضحة ووقائع دامغة ناصعة تنطق بحقيقة الإسلام ؟

ومن هذا الذى يستعين بالسيف لا على شعبه فقط بل على الشعوب الأخرى بالقتل والحرق والشنق والتعذيب بأبشع الوسائل، ليس هذا هو الإسلام إنما هم الذين تزيوا بزى المسيحية ولوّثوها بوثنية روحية.. وباسمها كانت حروبهم المقدسة والمسيحية منهم براء، ولكن كان غزواً استعمارياً ومازال وإن تخفّى فى هذه الأيام تحت مسمى العولمة وهى صناعة أمريكية للسيطرة على العالم وإذلال شعوبه متدثرين بمسميات برّاقة منها حماية حقوق الإنسان ولكنها حقوق للإنسان الغربى وحده والكيل بمكيالين فى الموقف الواحد أوالأحداث المتشابهة إذا ما تعلّق الأمر بمسلم أومسيحى عربى أوهندى أوغيرهم من الأجناس البشرية، فالحقوق لهم وحدهم ألم يبيدوا الهنود الحمر وعزلوا مواطنيهم السود ؟ فهم السادة ونحن العبيد.

فالإسلام انتشر بالقدوة الحسنة والقيم التى نادى بها والسلوك المتحضرً الذى مارسه المسلمون، وليس أدل على ذلك من تحول المغول هذا الجيش القاهر الذى حوّل ماء دجلة والفرات إلى دماء وأخضعوا الشعوب العربية الإسلامية لسلطانهم، عدا مصر التى انتصرت جيوشها ودمرّتهم فى موقعة عين جالوت ؟ هذا الجيش أسلم وهوشاهر سيف الوثنية بلا رحمة ودخل الإسلام وهوفى غمرة ونشوة انتصاره على المسلمين، وهذه قصة يجب أن يفرد لها حديث لندلل على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف فى مقولة مغلوطة مفادها أن الإسلام قائم على الحرب ليس لها سند من التاريخ، ومن أشد الأمور غرابة ودحضاً للافتراء الغربى فإن بعض الغزاة فى الحملة

الصليبية أسلموا طواعية واختيارا وهم الذين ابتكروا فكرة (الحرب المقدسة)[1] لتخليص القدس من الكفرة المسلمين.

وإذا تتبعنا تاريخ كثير من البلاد الإسلامية يثبت لنا من واقع الأحداث التاريخية أن الإسلام فتحها ولم يكن شاهراً سيفه وإنما انتشر فيها بفضائله وقوته الذاتية بلا جيوش أوخيل مسومة، والشاهد على ذلك بمراجعة تاريخ تلك البلاد وكيفية دخول الإسلام وانتشاره فيها نجد أن أسلوب الدعوة هوالكلمة الطيبة، والحكمة والموعظة الحسنة، ويتضح ذلك بجلاء إذا ما استعرضنا واقع التاريخ الإسلامى فى تلك الدول نتأكد من أن الله غرس فى الإسلام سراً يشبه البلسم للقلوب، ففى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ألوف دخلوا الإسلام فراراً بأنفسهم من متاعب العصر وضياع سلام النفس، التى أثقلتها المدنية وأرهقتها مادية العصر:

وأدق تعبير عن هذا الموقف نقرأه فى كتاب الدكتور حسين مؤنس إذ يقول:

(إنَّ الإسلام فى يومنا هذا مأمن الكثيرين من الحانقين غير الراضين عن مجتمعات الرقى المادى والصراع العنيف على متاع هذه الدنيا، فيقبل الناس على الإسلام ويجدون فيه شفاء الصدور، ولقد سألت واحدا من هؤلاء المؤمنين الألمان فى أحد مساجد برلين : ودينك القديم أما كان يجلب إلى نفسك الراحة، وهوفيما أعلم دين سماوى

---

(١) - كتاب الإسلام والغرب ص ١٧٢

ويعبد أهله الله ؟ قال : أجل كنت قبل أن أدخل الإسلام أعبد الله، ولكنى كنت بعيداً عنه، وكنت لا أصل إليه إلا عن طريق القس، أما الآن فإني مع الله حيثما كنت، وهوسبحانه معي حيثما أكون : أستغفره وأحمده وأشكوإليه همى وألمي وأحس أنه قريب منى، فتطمئن نفسي وتهدأ، وأجد راحة كبرى، قلت له : أما تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال ذلك في محكم كلامه ؟ اسمع هذه الآية: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة ١٨٦ ) فقال وقد أشرق وجهه : ما سمعت هذه الآية قط ولكنى كنت أحس أن الله قريب منى يستجيب إليَّ إذا دعوته.

وقد يبدو لبعض المبغضين للحق أن يجادل فيما ذهبنا إليه من أن الإسلام لم ينتشر بالقوة قط، وينكر ما ذهبنا إليه من أن الفتوح ما كانت تقصد إدخال الناس في الدين رهبا، وإنما كان قصدها أن تزيل العقبات التى تحول دون دخول الناس فيه رغبا، لأن كلمة الحق التى يأتى بها الإسلام ما تكاد تصل إلى النفوس الطيبة الصافية، حتى تنفذ في شغافها وتنقلها إلى رحاب الإيمان. ولسنا بسبيل الجدل مع هؤلاء المنكرين المعاندين، فهؤلاء أهل جدل وإفك، ومهما نأتهم به من البينات فهم لا يؤمنون، وهؤلاء أعفانا الله سبحانه من عناء جدالهم، إذ قال في سورة الكهف : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً * وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ

الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُواً ﴾ الآيات: (٥٤ ٥٦)

ولكننا لا نترك أولئك المجادلين بالباطل يسعدون بباطلهم، بل لا نزال ندعوهم بالحسنى ونأتيهم بالبينات، ونجادلهم بالتى هى أحسن، مؤتنسين فى ذلك بمنهج نبينا صلوات الله عليه، فى موالاة الدعوة على المنكرين دون كلل أوملل، إلى جانب الحرص البالغ على أن تصل كلمة الحق إلى كل نفس، فلعل ذلك أن يكون خلاصا لها، واعتمادنا فى ذلك على الله سبحانه وتعالى الذى يحق الحق ويزهق الباطل: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء: ١٨)

أجل لهؤلاء الجدليين نسوق براهين لا تحتمل الجدل، من أحاديث أمم كاملة دخلت دين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وحدهما، فلم يفرض على أهلها الإيمان، ولا أوجف على بلادهم بخيل ولا ركاب، إنما هى دعوة الحق وصلتهم ففضت المغاليق وفتحت الأبواب.

ومن المعروف عندنا أن بلاد الهند والجزء الغربى القصى من الصين هما آخر ما وصلته جيوش الإسلام فاتحة، فكل ما تلا ذلك شرقا، إنما هوفتح خالص للإسلام وحده ولا جدال فى ذلك، وإذا كان الإسلام نفسه هوالذى فتح قلوب الأمم والشعوب فى البلاد التى شملتها موجات الفتح، فإن البلاد التى نتحدَّث عنها هى فتوح الإسلام وصوافيه وحده دون أدنى ريب " أ.هـ

ولو دققنا النظر على خريطة المعمورة لتبين لنا أن انتشار الإسلام فى الغالبية العظمى من دول آسيا أو أفريقيا أو أوروبا اعتمد على ما تحمله الرسالة الإسلامية من بساطة فى التعاليم مع وضوح فى المنهج والأركان فى الشكل والمضمون .

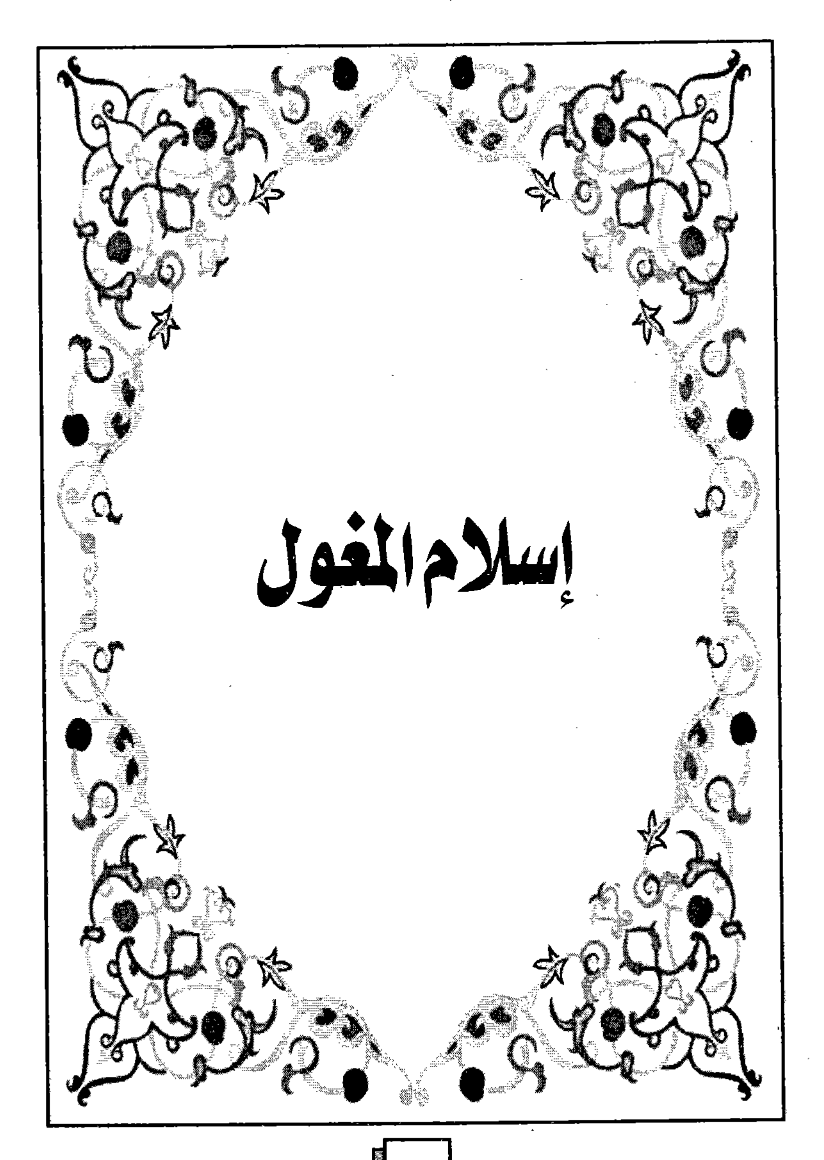
تخاطب أدنى المستويات العلقية والإدراكية فى الإنسان لخلوها من التدخلات والحيل الفطرية أو اللاهوتية ، لأن معرفة الله لا تطلب قسا أو راهبا بين الله وعباده ، فالفرد فى الإسلام الصلة بينه وبين ربه مباشرة لا دخل لإنسان آخر فى خلق هذه الرابطة أو الوصول عن طريقها ، فالإسلام تعاليمه واضحة تتسم بالبساطة ، وهذا كان له تأثيره فى نشر الرسالة فى مختلف دول العالم والأماكن والمجالات وبين مختلف الأوساط ، لأن الرسالة الإسلامية تعتمد على الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والقدوة الصالحة المؤمنة فى تطبيق ما دعا إليه الإسلام ونشر الفضيلة والأخلاق الحميدة ، التى فطر الله الإنسان عليها . فتساؤلات الإنسان ومشكلاته وقضاياه يجدها الإنسان معروضة بصورة مبسطة سهلة الفهم والاستيعاب فى القرآن الكريم أو السنة النبوية وتأثير هذه الكلمة ساعد على انتشار الرسالة الإسلامية ، ومن مظاهر عظمة هذا الدين أن يخضع له الغزاة الذين قادوا فرسانهم وركبانهم للقضاء عليه فى عقر داره ، وتمثل ذلك فى إسلام المغول المتنصرين وإسلام الصليبيين ، وهذا ما نستعرضه فى الفصلين التاليين كنموذج لانتشار الإسلام بلا سلاح أو حرب إنما انتصر بقوته وقدرته على أن يحتوى قلوباً مشحونة ضده فسرى فى الغزاة كالبلسم الشافى ، كما نراه اليوم

يغزو أوروبا بلا سلاح فتاك، وإنما ينتصر عليهم فى عقر دارهم بما تحمله رسالته البسيطة من شفاء للقلوب التى أرهقتها أعباء المدنية المعاصرة، وأثقلتها مادية العصر.

وهذا ما نجده فى أوروبا كإنجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، الذين يدخل فى الإسلام منهم يوميا الآلاف فراراً بأنفسهم من متاعب العصر بعد ضياع السلام النفسى فوجدوا فى رحابه الدفء والخلاص والراحة بعد أن شرح الله قلوبهم للإسلام.

فالإسلام انتشر على مساحة واسعة من الأرض، وتمكن من التأثير فى الجماهير التى تستوطنها، وتغلغل تأثيره فى العديد من الأماكن وبين مختلف الطوائف المتنافرة التى اعتنقت هذه الديانة بعد احتكاكهم بأهلها، أو دراستهم للإسلام واستيعابهم لرسالته التى وجدوها معروضة بصورةٍ مبسطةٍ فى القرآن والسنة النبوية المشرفة، وبهذا النهج جذبت الدعوة الإسلامية انتباه الجماهير إلى العقول والوجدان دون صعوبة فراراً بأنفسهم من متاعب العصر، وضياع السلام النفسى بحثاً عن راحة القلب بعد أن شرح الله قلوبهم للإسلام الذى قام على البساطة وارتكزت أركانه وفرائضه ومنهجه الإنسانى على التوحيد والخضوع لله وحده دون وساطة أوتدخل من قس أوراهب، وتتمثل فضائله فى نشر الأخلاق، والمساواة بين خلق الله وبسط العدالة بلا تفرقة بين الجميع، واحترام حرية الإنسان فى إطار ضوابط تصلح من حاله وتعلى شأنه.





# إسلام المغول



تصدَّى المؤلفون " لتاريخ العهد المتوسط للكيمبردج " بذكر صدام المغول الشديد الذى كان سببه جنكيز خان بما يلى :

(لم يكن فى وسع الإنسان أن يسدَّ سيل المغول لقد تغلبوا على جميع أقطار الصحارى والغابات، ولم يقف فى وجههم أى شئ من الجبال والبحار، وشدائد الطقوس والفصول والقحط والأوبئة، ولم يكونوا يخافون أى خطر ولا مانع ولا كانت هناك قاعدة ترد هجومهم ولا كانت تؤثر فيهم استغاثة من مظلوم .... نحن نواجه هنا فى مجال التاريخ قوة جديدة، قامت بتقديم الحل السريع لكثير من القضايا المعقَّدة السياسية والوطنية، التى كانت تشغل العقول فى ذلك العصر، وقضت عليها كما تقضى الصاعقة التى تنزل من السماء على كل ما تصيبه فى الأرض، وقد كانت هذه القضايا الوطنية والسياسية بالغة فى تعقُّدها إلى حد لم يكن يرجى منه الخلاص لولا أن وقعت عليها هذه المنازلة " .

**تدمير بغداد :**

وأخيراً دخل هؤلاء الوحوش بعدما خضَّبوا أرض العالم الإسلامى كله بدماء أهله وأتوا عليه فى بغداد دار الخلافة الإسلامية ومركزٍ العلم والمدنية الأكبر فى ذلك العصر بقيادة هولاكو خان، ودمَّرها تدميراً، ولا شك أن تفاصيلِ قتل المسلمين فى بغداد وتدميرها طويلة ومؤلمة ونستطيع أن نقدِّر مدى هذه الواقعة العظيمة ببيان بعض المؤرخين الذين شهدوا آثارها بأعينهم وسمعوا تفاصيلها من مشاهديها، يقول المؤرخ ابن كثير :

( ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما ، وانقضت الأربعون يوما ، وبقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد ، إلا الشَّاذ من الناس ، والقتلى فى الطرقات كأنها الفلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيَّرت صورهم ونتنت من جيفهم البلد ، وتغيَّر الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدَّى وسرى فى الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغيُّر الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء ) .

ويقول الشيخ تاج الدين السبكى :

( فأنزل هولاكو الخليفة المستعصم فى خيمة ، ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم ، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ، ثم طلب حاشية الخليفة فضرب أعناق الجميع ، ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم ، وأما الخليفة فقيل لهولاكو إن هذا إن أريق دمه تظلم الدنيا ويكون سبب خراب ديارك ، فقام نصير الدين الطوسى وقال : يقتل ولا يراق دمه ، فقيل إن الخليفة غم فى بساط وقيل رفسوه حتى مات )

واستمر القتل ببغداد بضعة وثلاثين يوما ، ولم ينج إلا من اختفى : وقيل إن هولاكو أمر بعد ذلك بعدِّ القتلى ، فكانوا ألفين وثمانمائة ألف ثم طلبت النصارى أن يقع الجهر بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، وأن يفعل معهم المسلمون ذلك فى شهر رمضان ، وأُريقت الخمور فى المساجد والجوامع ومنع المسلمون من الإعلان بالأذان .. هذه بغداد

لم تكن دار كفر قط ، وجرى عليها هذا الذى لم يقع قط منذ قامت الدنيا مثله "

وقد ظلَّت بغداد على علامتها بصفتها أكبر مدينة للعالم الإسلامى ، ومركز العلوم والفنون ، ومهد العلماء والصالحين ، وكانت موضع فخر المسلمين لكونها دار الخلافة ، فاضطرب لتدميرها المسلمون كلهم وبكوا عليها .

## واقعة عين جالوت وتراجع التتار عن مصر :

توجَّه التتار نحو حلب الشهباء بعد بغداد وعاملوها معاملة بغداد كما ذكر ابن كثير ، ثم تقدَّموا إلى دمشق واستولوا عليها فى شهر جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ .

وكان التتار متوجهين نحو مصر بعد الشام بحكم الطبيعة ، وكانت مصر وحدها التى لم تصبها ويلات التتار ، وقد كان ملك مصر المظفر ، سيف الدين قطز ، قد تفرَّس أن التتار يزحفون إلى مصر بعد الشام ، وعند ذلك يصعب التخلص من وطأتهم ، فرأى أن يخرج من مصر الجنود ويشن عليهم الهجوم فى نفس الشام ، حتى وقعت الحرب بين عساكر مصر الإسلامية ، والتتار فى عين جالوت يوم ٢٥ من رمضان سنة ٦٥٨ هـ ، وانهزم التتار شر هزيمة بخلاف ما سبق لهم من الحروب ، فخرجوا منها هاربين ، وتعقَّبهم الجنود المصريون فقتلوهم وأسروا منهم عدداً كبيراً

يقول العلامة الأسيوطى فى كتابه " تاريخ الخلفاء " :

(فهزم التتار شر هزيمة، وانتصر المسلمون ولله الحمد، وقتل من التتار مقتلة عظيمة، وولّوا الأدبار، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم)

وهزمهم الملك الظاهر بيبرس بعد انهزامهم في عين جالوت مرات عديدة وأخرجهم من أرض الشام وطردهم منها، حتى بطل المثل السائر " إذا قيل لك أن التتار انهزموا فلا تصدق "

**انتشار الإسلام في التتار:**

وقبل أن ينجرف العالم الإسلامي مع هذا السيل الجارف العنيد، وتنطمس معالمه وملامحه، بدأت دعوة الإسلام تنتشر فجأة في هذا الشعب، وتتحقق على أيدي دعاة الإسلام ما لم يتحقق بالأسنَّة والرماح وبطش السلاطين الملوك، وبدأ الإسلام يتسرَّب في نفوس أعدائه، ويأخذ بمجامع قلوبهم، إنَّ خضوع هذا الشعب - الذي قهر المسلمين - أمام الإسلام من أغرب الوقائع والأحداث في التاريخ، فإنَّ هجوم التتار على العالم الإسلامي كله، ليس من الغريب المدهش كما يبدو في الظاهر، فإن العالم الإسلامي في القرن السابع كان بدوره مصابا بتلك الأمراض والأسقام، التي تلحق الأمم عامَّة في أوج حضارتها وشوكتها، وبالعكس من التتار ذلك الشعب القوي الأبيّ الذي نشأ على حياة البداوة، والهمجية والضراوة، ولكنَّ الغريب المدهش أن هذا الشعب خضع للمسلمين المقهورين، واعتنق دينهم في أوج قوته وذروة سلطانه، ذلك الدين الذي فقد كثيراً من سلطانه السياسي المادّي آنذاك، وكان أتباعه موضع سخرية واحتقار في نظر التتار.

وقد أبدى " أرنولد " استغرابه فى هذا الصدد فى كتابه المشهور " PREACHING OF ISLAM الدعوة إلى الإسلام " حيث قال :

(ولكن لم يكن بداً من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده الخالد، كما استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ويحملهم على اعتناقه، ويرجع الفضل فى ذلك إلى نشاط الدعاة من المسلمين، الذين كانوا يلاقون من الصعاب أشدّها لمناهضة منافسين قويين كانا يجادلان إحراز السبق فى ذلك المضمار، وليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب، وتلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، كل ديانة تناقش الأخرى، لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة، الذين داسوا بأقدامهم أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة والمبشرين فى جميع الأقطار والأقاليم)

(ويظهر أنه لم يكن من اليسير منافسة الإسلام فى مستهلّ الحكم المغولى لغيره من الديانات القوية، كالبوذية والمسيحية كانت عملا بعيد المنال، إذ أن المسلمين كانوا قد قاسوا أكثر من غيرهم من ذلك الاضطراب الذى صحب غارات المغول، وأن معظم هذه المدن التى كانت حتى ذلك الحين مجمع السلطات الدينية وكعبة العلم فى الإسلام فى القارة الآسيوية، وقد أصبح معظمها أطلالاً دارسة، حتى أن الفقهاء وأئمة الدين الاتقياء، كان نصيبهم القتل والأسر وكان من بين حكام المغول الذين عرفوا عادة بتسامحهم نحو الأديان جميعها من يظهر الكراهية للدين الإسلامى على درجات متفاوتة، فقد أمر جنكيز

خان بقتل كل من يذبح الحيوانات على النحو الذى قرَّره الإسلام، فعين مكافآت لكل من دلَّ على من يذبح بهذه الطريقة واضطهد المسلم اضطهاداً عنيفاً دام سبع سنوات، حتى أن كثيراً من المعدمين وجدوا فى سن ذلك القانون فرصة لجمع الذرة، واتهم الأرَّقاء مواليهم بهذه التهمة، لكى يحصلوا على حريتهم، وقد عانى المسلمون أقسى ضروب العسف والشدة فى عهد كيوك (١٢٤٦ - ١٢٤٨م) وقد اضطهد (١٢٤٨ - ١٢٩١ م) رابع الخاقات المغول فى فارس المسلمين فى بلاده، وصرفهم عن كافة المناصب التى كانوا يشغلونها فى القضاء والمالية، كما حرَّم عليهم الظهور فى بلاطه، وعلى الرغم من جميع المصاعب أذعن هؤلاء المغول والقبائل المتبربرة آخر الأمر لدين هذه الشعوب التى ساموها الخسف وجعلوها فى مواطئ أقدامهم

إنَّ هذا الحدث مثار دهشة وعجب، ولكن استغرابنا يشتدُّ حينما لا نجد تفاصيله وافية فى بطون التاريخ، إننا لا نكاد نعثر على أسماء هؤلاء الأعلام والأبطال الذين حقَّقوا هذه المآثر، وأدخلوا هذا الشعب الهمجى فى حظيرة الإسلام مع أن هذه المآثر لا تقل أهمية عن أى مآثر إسلامية فى التاريخ ولهم فضل لا ينكر لا على رقاب المسلمين فحسب، بل على الإنسانية كلها، إلى أن يأذن الله لها بالفناء فإنهم أنقذوا العالم من دمارٍ محتومٍ، ووضعوه تحت رعاية شعبٍ يؤمن بالله وحده، ويدعو إلى دين محمد ﷺ

إنَّ دولة جنكيز خان توزَّعت بعد وفاته إلى أربعة فروع، وبدأ

الإسلام ينتشر في هذه الفروع الأربعة وأصبحوا يعتقون الإسلام بجهود الخاقات، حتى دخلوا في ظروف مائة سنة في دين الله

وقد سرد أرنولد عدَّة أحداث تلقي الضوء على هذا الباب، إنَّه يحكي قصة شيوع الإسلام في فرع جوحي خان الابن الأكبر لجنكيز خان، الذي كان يحكم سيرا داردا، الجزء الغربي من الدولة، فيقول :

(وكان بركة خان " ١٢٥٦ - ١٢٦٧ م " أول من أسلم من أمراء المغول : وكان رئيساً للقبيلة الذهبية في روسيا بين سنتى ١٢٥٦ و١٢٦٧ م، وقد قيل في سبب إسلامه إنه تلاقى يوما مع عيرٍ للتجار آتية من بخارى، ولما خلا بتاجرين منهم سألهما عن عقائد الإسلام، فشرحاها له شرحاً مقنعاً انتهى به إلى اعتناق هذا الدين والإخلاص له، وقد كاشف أصغر إخوته أول الأمر عن تغيُّره لدينه واعتناقه الإسلام وحبب إليه أن يحذوحذوه، ثم أعلن بعد ذلك اعتناقه لهذا الدين :

(وقد دخل بركة خان في حلف مع ركن الدين الظاهر بيبرس (١٢٦٠-١٢٧٧م) سلطان المماليك في مصر، الذى بدأ تلك العلاقات الوثيقة من جانبه، فقد احتفى بشرذمة من جند القبيلة الذهبية يبلغ عددها المائتين، ولمَّا لاحظ هؤلاء الجند العداء بين ملكهم وبين هولاكوفاتح بغداد، وهم الذين كانوا ينضوون تحت لوائه، فرّوا إلى سورية، حيث اتجه منها شطر مصر، وهناك استقبلوا بكل مظاهر الحفاوة والتكريم في بلاط بيبرس نفسه الذى أقنعهم بصحة الدين الإسلامي واعتناقه، وكان بيبرس في حرب مع هولاكو وقد هزمه

بيبرس وأخرجه من سورية منذ أمد قريب ، وقد أرسل بيبرس اثنين من المغول اللاجئين وغيرهما من الرسل الذين يحملون كتاباً إلى بركة خان ، وقد نقل هؤلاء عند عودتهم إلى مصر ، أن لكل أمير وأميرة فى بلاط بركة خان إماما ومؤذنا خاصا وأن الأطفال كانوا يحفظون القرآن فى المدارس ، وكان من أثر هذه العلاقات الودِّية التى قامت بين بيبرس وبركة خان أن كثر الوافدون من رجال القبيلة الذهبية على مصر حيث اتخذوا الإسلام ديناً لهم)

إنَّه يحكى قصة انتشار الإسلام فى الإيلخانية الفرع الثانى لأسرة جنكيز خان ويقول :

(كان الإسلام أقل انتشاراً فى بلاد الفرس حيث أسَّس هولاكوأسرة الخاقات المغول ، ولكى يقوى على صدّ هجمات بركة خان وسلطان مصر ، تحالف هولاكومع القوات المسيحية فى الشرق كملك أرمينية والصليبين ، وكانت زوجته المحبَّبة إليه مسيحية ، فعملت على استمالة زوجها نحوإخوانها فى الدين ، كما تزوج ابنه أباقاخان ( ١٢٦٥ - ١٢٨١ م ) من ابنة امبراطور القسطنطينية ، وقد طمع المسيحيون ، فعلَّقوا الآمال على اعتناق أباقا خان المسيحية ، ولكن الأيام أظهرت أن تلك الآمال لم تكن إلا سراباً خادعاً وكان أخوه تكودار أحمد الذى اعتلى العرش من بعده أول الخاقات المغول الذين اعتنقوا الإسلام فى فارس ، وقد شبَّ على المسيحية ، لأنه كما يحدثنا بذلك كاتب مسيحى من معاصريه تعمَّد فى صباه وتسمى

باسم نقولا ولكنه دان بالإسلام عندما بلغ سن الرشد عن طريق اتصاله بالمسلمين الذى كان كلفاً بهم وأصبح مسلماً ديناً، ولما ارتدَّ عن المسيحية رغب فى أن يسمى محمد خان وبذل قصارى جهده فى تحويل جميع التتار إلى دين محمد وعقائده .

وقد بعث تكودار أحمد بنبأ إسلامه إلى سلطان المماليك فى مصر (قلاوون) فى ذلك الكتاب : (إلى سلطان مصر، أمَّا بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى السابق عنايته ونور هدايته، وقد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا وريعان الحداثة إلى الإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته، والشهادة لمحمَّد عليه أفضل الصلاة والسلام بصدق نبوته وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده وبريته ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ (الأنعام: ١٢٥) فلما نزل عمل إلى إعلاء كلمة الدين وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين، إلى أن أفضى إلينا بعد أبينا الجليل وأخينا الكبير نوبة الملك، فأضفى علينا من جلابيبنا الطاقة والطائفة ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه وجلى هذه المملكة علينا وأهدى عقيلتها إلينا فاجتمع عندنا فى قوريليان QURILTY على الأصح المبارك - وهوالمجتمع الذى تقدح فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد والأمراء الكبراء ومقدمى العساكر وزعماء البلاد واتّفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أخينا الكبير فى إنقاذ الجسم الفقير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها وامتلأت الأرض رعبا من عظيم صولتها وشديد بطشها إلى تلك الجهة بهمَّة تخضع لها الأشداء وعزيمة تلين لها الصم الصلاد، ففكرنا فيما تمخَّضت زبد عزائمهم واجتمعت أهواؤهم عليه فوجدناه

مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتفاء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام وألا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء وتجرى به فى الأقطار رخاء نسائم الأمن والأمان ويستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان تعظيماً لأمر الله وشفقة على خلق الله فألهمنا الله تعالى إطفاء تلك الغائرة وتسكين الفتن الثائرة وعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا إليه : من تقدم ما يرجى به من شفاء فراج العالم من الأدواء وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء وإننا لا نحب المسارعة إلى هزّ النصال للنضال إلا بعد إيضاح الحجة ولا نبادر لها إلا بعد تبين الحق وتركيب الحجة وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الصلاح وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح إذ كان الشيخ قدوة العارفين (كمال الدين عبد الرحمن) الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين، فأرسلناه رحمة من الله لمن (لبّى) دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه، وأنقذنا أقضى القضاة قطب (الملة) والدين والأتابك بهاء الدين اللذين هما من ثقاب هذه الدولة الزاهرة ليعرفوهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا، وبينًا لهم أن الله تعالى على بصيرة وأن الإسلام يَجُبّ ما قبله وأنه تعالى ألقى فى قلوبنا أن نتبع الحق وأهله... فإن تطلّعت نفوس إلى دليل وقد تتابع دخول باقى دول المغول فى الإسلام وحملوا لواء الرسالة بالدعوة، وهكذا دخل هذا الشعب (الذى دوّخ العالم الإسلامى كله، وداس أطرافه

بأقدامه ونعاله وخيوله، والذى لم تتماسك أمامه أى قوة) فى دين الله الإسلام فى بضع سنين، وبدت هذه الحقيقة مرّة أخرى واضحة جليّة، أنّ الإسلام لا يزال يملك أكبر نفوذ ويتمتع بأغرب موهبة فى تسخير الأرواح وكسب الأنصار والأصدقاء، إن التتار لم يسلموا رسميا فحسب بل برز فيهم عدد كبير من العلماء والفقهاء والمجاهدين والدعاة والربانيين وأهل الصدق واليقين، وأدّوا دورهم الثمين فى حماية حمى الإسلام فى ظروف دقيقة ولحظات عصيبة من التاريخ تستحكم بسببه دواعى الاعتماد وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فلينظروا إلى ما ظهر من أمرنا مما اشتهر خبره وعمّ أثره، فإنا ابتدأنا بتوفيق الله بإعلاء أعلام الدين وإظهاره، فى إيراد كل أمر وإصداره، تقديما لناموس الشرع المحمّدى، على مقتضى قانون العدل الأحمدى إجلالاً وتعظيماً وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة واقترف وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله عما سلف، وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس، وعمارة بقاع الدين والربط الدوارس وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القائمة إلى مستحقيها بشروط واقفيها .... وأمرنا بتعظيم أمر الحجاج وتجهيز وفدها وتأمين سبلها وبتسيير قوافلها، و أطلقنا سبيل التجار المترددين على تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وهويلتمس محالفة سلطان مصر بحيث تعمر تلك الممالك وتلك البلاد وتسكن الفتنة الثائرة وتغمد السيوف الباترة وتحل العامة أرض الهوينى، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهوان.

## الإسلام فى روسيا :

ويجدر بنا أن نلحق الإسلام فى روسيا وانتشاره بها بفضل اعتناق المغول الإسلام فى روسيا فى عجالة إذ كان يجاور مغول القبيلة فى جنوب روسيا شعب إسلامى من أصل تركى هوشعب البلغار، وكان يسكن شمالى البحر الأسود وشرقه، وقد اجتهد البلغار فى تحويل الروس إلى الإسلام، وكانوا على الوثنية، إلا أعدادا كبيرة نسبياً من المسلمين، معظمهم من التتار الذين كانوا يستجلبونهم من آسيا للاستعانة بهم فى الشئون العسكرية، وكان هؤلاء يسكنون مساحات واسعة تمتد من بلاد القرم إلى السفوح الشرقية لجبال الكربات وفى أوائل عهد لينين أثناء الثورة البلشفية ( ١٩١٧ ) صدر قرار بنقلهم جميعا إلى سيبيريا وتفريقهم فى نواحيها، وفى فيافى سيبيريا وغاباتها اختفى تتار روسيا المسلمون.

ويعزى انتشار الإسلام فى روسيا إلى التتار، الذين كانوا فى يوم من الأيام من ألد أعداء هذا الدين .

وقد ساد الإسلام بلا حرب فى الجمهوريات الروسية السابقة فى آسيا وعددها ست هى :

١ - أذربيجان ٢ - تركمانستان ٣ - طاجيكستان

٤ - أوزبكستان ٥ - قرغيزستان ٦ - فاراكستان



# إسلام الصليبيين



لقد قامت الحرب الصليبية من الغرب ضد الشرق العربى وسمَّاها المؤرخون فى الشرق ( حرب الفرنجة ) لأن المسيحيين فى الشرق لم يشاركوا الغرب ادعاءاته، فهى دعوة عنصرية غربية، تخفى رغبة استعمارية قادمة من الغرب للشرق، وإن كانت قد أخذت الطابع الدينى لدى المسيحيين الغربيين ولذلك فإن كلمة الصليبيين التى نستعملها فى الشرق باسم الدين المسيحى وهومنهم براء لأنَّ الغرض كان محاربة الغرب تحت اسم الدين للشرق للاستيلاء على خيراته والقضاء على الإسلام والمسلمين فى عقر دارهم وانضمَّ إليها الناس تحت دعوى محاربة الكفر الذى يمثله المسلمون ولقطع شأفتهم بنزعةٍ انتقاميةٍ من هذا الدين وأصحابه فقد تشرَّبوا العداء المتعصِّب المميت قبل الخروج للحرب.

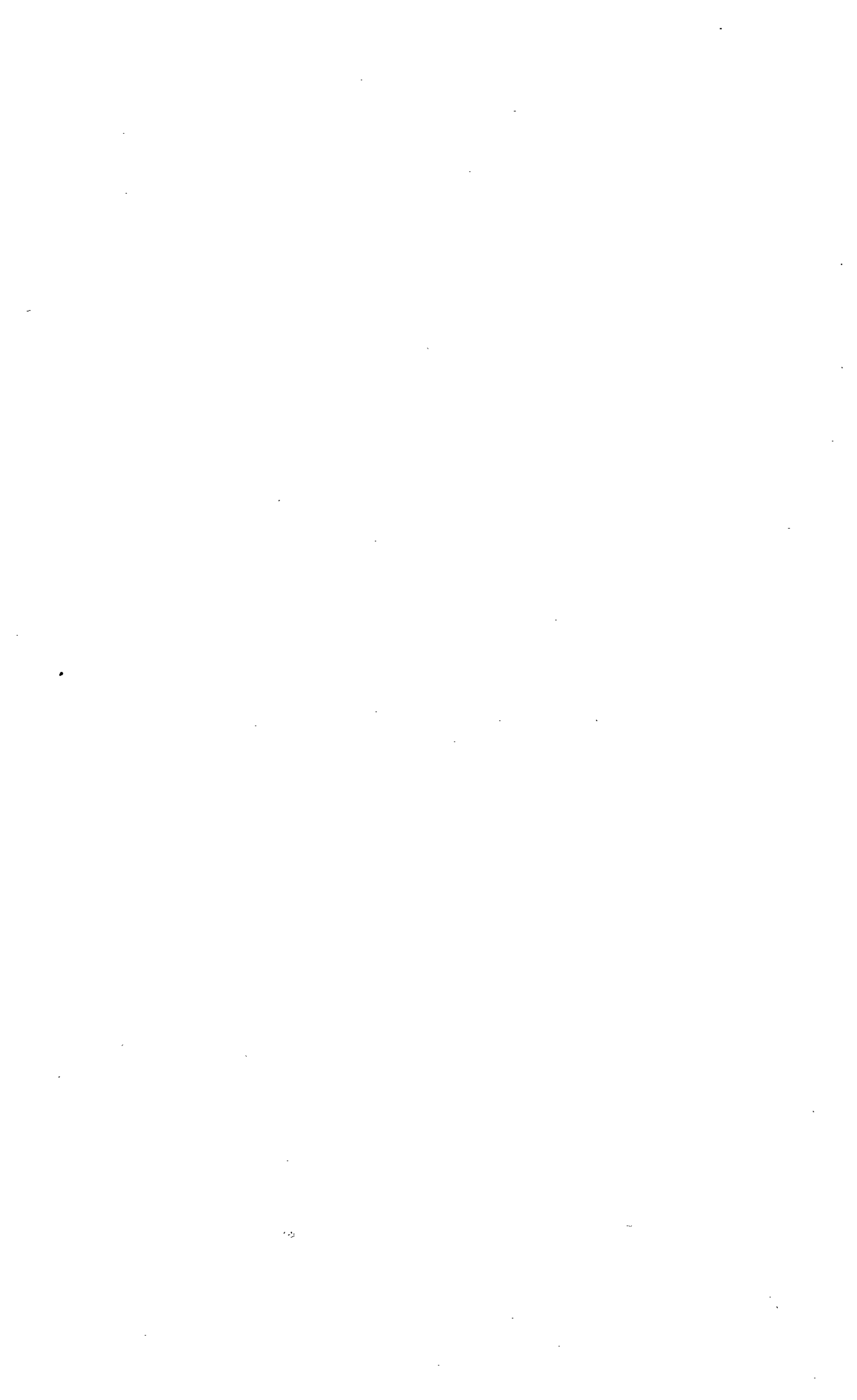
والغريب فى الأمر أن كثيراً من هؤلاء القادمين الغزاة دخلوا فى عداد المنتمين للإسلام، ومن الرعيل الأول من هؤلاء الذين أسلموا (رينوه) أمير طوائف الجيرمان واللمباردين وتابعه الكثيرون فى الإسلام، وفى الحرب الصليبية الثانية أسلم راهب من رهبان سانت دنيس وكان قسيسا فى المعبد الخصوصى للملك لويس السابع وقد قال هذا الراهب :

(وفى طريق الصليبيين إلى المقدس، بممر جبال الأناضول إلتقوا بجيش المسلمين فهزم الصليبيون شر الهزيمة، وكان ذلك فى الممر الجبلى (أفريقيا) وذلك فى سنة ١١٤٨ ولم يصلوا إلى مرسى (أصاليا) إلا بشق الأنفس، ومنها استطاع القادرون بعد تلبية طلبات

التجار اليونانيين الباهظة أن يرحلوا إلى إنطاكية بحراً وقد دفعوا مبالغ طائلة، وتركوا خلفهم الجرحى والمرضى والحجاج، فدفع كذلك لويس خمسمائة مارك لليونانيين على أن يعتنوا بهؤلاء الضعفاء حتى يشفوا، وعلى أن يرافقهم حرس اليونانيين حتى يلحقوا بمن سبقهم، فما كان من اليونانيين القادرين إلا أن تربَّصوا حتى تباعد جيش الصليبيين واتصلوا بالمسلمين الأتراك وأخبروهم بما عليه الحجاج والجرحى، ممن تخلفوا عن الوهن والعجز ثم تعدوا ينظرون إلى إخوانهم في الدين ينال منهم البؤس والمرض وسهام المسلمين ولمَّا ضاق الصليبيون المتخلفون ذرعاً بما أصابهم، وخرج ثلاثة آلاف أوأربعة من قلعتهم محاولين النجاة بأنفسهم، فحصرهم المسلمون وشددوا عليهم ثم حملوا على المعسكرات الصليبية، وكان حال من خرج ومن بقى فى المعسكر فيه أقل رجاء، ولم ينقذوا إلا بما نزل فى قلوب المسلمين من الرحمة حين اطلعوا على ما فيه عدوهم من بأساء وما أصابهم من ضراء

وذابت نفوسهم رحمة لأعدائهم الصليبيين المساكين، فواسوا المريض، وأحسنوا للفقير، وأطعموا المسكين بسخاء وكرم، وبلغ من إحسانهم أن بعضهم استردوا بالشراء أوالحيلة أوالقهر النقود التى أخذها اليونانيون من الحجاج وردُّوها عليهم ووزعوها على المحتاجين من الصليبيين وأشار إلى أن الفرق بين معاملة اليونانيين لإخوانهم المسيحيين ومعاملة المسلمين الكفار لهم حمل الصليبيين على اعتناق دين الأعداء المنقذين، ومن غير أن يكرهوا أويقهروا على ذلك .

والأمثلة على دخول المسيحيين فى الإسلام عديدة ومتنوعة وكلها تجمع على أن ذلك تم بإرادةٍ واعيةٍ لا مكرهة ولا مجبرة، ولكنها اختيار العقيدة عن إيمان بالدين دون إكراه أوإجبار إنما تميل إلى دين الفطرة السليمة .





# الإسلام فى آسيا وأفريقيا



انتشر الإسلام فى أفريقيا وآسيا إذ أن الشعوب التى أسلمت فيهما بلا جيوش أوحرب أضعاف أضعاف عدد المسلمين فى الدول العربية مجتمعة، وأكبر تعداد فى دولة للمسلمين يوجد بإندونيسيا.

وانتشار الإسلام فى هاتين القارتين أثر من آثار رجال من المسلمين مختلفى الهوية والحرفة تعاملوا مع الشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، فكانوا قدوة صالحة لمن خالطهم من غير المسلمين، وهؤلاء قوم تشربوا بمبادئ الإسلام، أسلم على يديهم من عاشروهم ودرسوا مخبرهم، فشربوا منهم مبادئ الإسلام فاعتنقوه عن إيمان، ودافعوا عنه ضد قوى الاستعمار الأوروبى الباغية .

ومع مرور الزمن انتصروا على الاستعمار الغربى الذى كان نموذجاً سيئاً لاستغلال الإنسان لأخيه الإنسان، تحت ذرائع ومسميات تخفى فى طياتها نفوساً خبيثة.

**الاستعمار:**

الاستعمار كظاهرة سياسية عالمية قديم جداً من أيام الرومان، فهم أول شعب رسم لنفسه سياسة عدوانية على البلاد الأخرى لاستغلال خيراتها لصالحه استغلالا منظماً طويل الأمد .

لقد احتلت شعوب غيرهم قبل ذلك بلاداً أخرى ونهبت شعوبها، ولكن ذلك لم يكن قائماً على خطة أوطول الأمد كما حدث من الآشوريين مثلا .

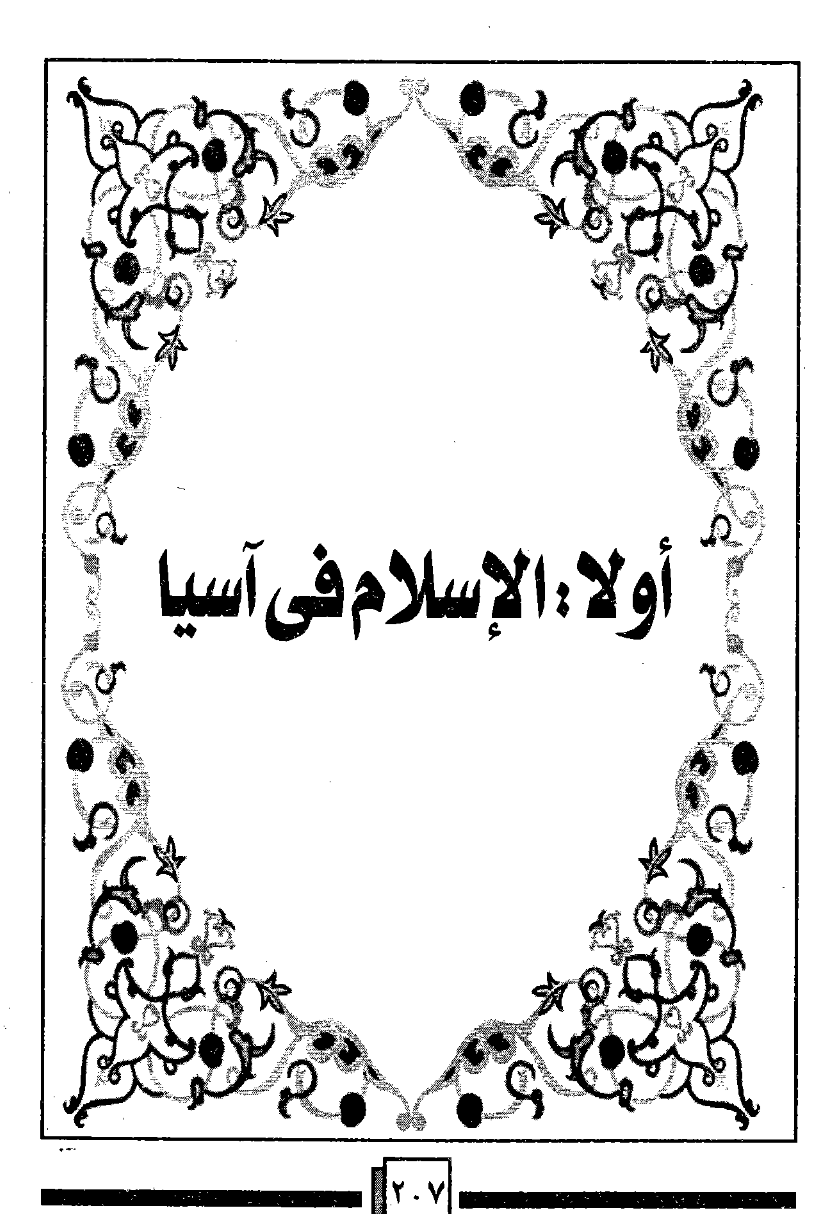
أما الرومان فقد احتلوا بلاداً واسعة مثل شبه جزيرة إيبريا ومصر وبلاد الشام احتلالاً دائماً غرضه جمع الأموال وخيرات البلاد على المدى الطويل، وبلغ الأمر بالرومان في هذا المجال أن فرضوا على المستعمرات إتاوات سنوية من الطعام يأخذونها ويفرقونها على سكان روما أو كيفما يحلو لحكامها .

وعن روما ورث البيزنطيون - وهم الرومان الشرقيون - هذه السيادة المستغلة من دولة أقامت تنظيماً سياسياً وعسكرياً هدفه الرئيسي احتلال البلاد الأخرى واستغلالها لصالحه .

**الإسلام والاستعمار:**

ولم يعرف المسلمون هذه السياسة، إنما كان هدفهم نشر الإسلام ورفع راية الدين، ومن عاداتهم الهجرة في جماعات كبيرة إلى البلاد الأخرى ويستقرون فيها ويختلطون بأهلها ويطبعونهم بطبيعتهم إذا استطاعوا، وكان نشر الإسلام غايتهم الأولى والأخيرة.

وكذلك كانت فتوح غير العرب من المسلمين مثلما حدث في الهند عندما تحول العثمانيون عن هذا الغرض السامي بنشر الإسلام وأصبح الهدف من فتوحاتهم في بلاد شرق أوروبا تقديم الجزية على نشر الإسلام، والذين آمنوا بالإسلام من تلك البلاد سببه قدرة الإسلام الذاتية على جذب الناس إليه إذ عرفوه ودرسوا حقائقه، فيقبلون عليه طواعية واختياراً وليس رهبة أو خوفاً من الإسلام فإن الإسلام من ثوابته الدائمة أن لا إكراه في الدين، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .



# أولا: الإسلام فى آسيا



**أولا - إندونيسيا :**

كان العرب سادة التجارة فى المحيط الهندى وبحار جنوب آسيا قبل غزو البرتغاليين لهذه المناطق فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، وقد مكنت هذه المبادلات تجار المسلمين، من أن ينشروا الإسلام فى جزر إندونيسيا، والذين أتوا إليها إما من الهند أوشبه جزيرة الملايو وسبق للإسلام دخولهما، ويقال إن التجار العرب هم سبب نشر الإسلام فى هذه الجزر وساعد على ذلك نهج التجار القديم فى سلوكهم ومعاملاتهم مع الناس، مما أدى إلى اجتذابهم إلى الإسلام، فآمنوا بعقيدة الإسلام وتزاوجوا مع أهل البلاد، وتعاونوا فيما بينهم فزاد جاههم ، ونشروا حضارتهم وثقافتهم،

وأصبحوا قادة الناس، الذين تقاطروا على الدخول فى الإسلام وإندونيسيا هى أكبر دول العالم الإسلامى عددا إذ أن تسعين فى المائة من أهل هذه الجزر مسلمون، وإندونيسيا بذلك هى أكبر بلد إسلامى على ظهر الأرض وأعمرها بالمسلمين .

ولهذا اهتم الغرب وأمريكا بالزحف نحوها بالدفع بجمعيات التبشير لتنصير أهالى هذه البلد، وبتقديم المعونات والمنح والهدايا لضعاف النفوس والفقراء لتحويلهم عن الإسلام، فى ظل سماحة أهل البلاد وسماحهم للجمعيات التبشيرية بالعمل بحرية تامة فى البلاد استطاعت تكوين أقلية مسيحية فى ذلك البلد الإسلامى .

**ثانيا - الهند :**

تشمل باكستان - بنجلاديش - كشمير قبل انفصالها عن الهند

التى نبتت فيها جذور الإسلام، وانتشرت معاصرة لبزوغ نجم الإسلام فى العالم إثر رسالة الرسول ﷺ، والهند كدولة قديمة حكمها الإسلام فترة طويلة، ولم يكره الحكام المسلمون الهنود على اتباع ديانتهم، ولكن اتسم حكمهم بالحرية الدينية، ودخل جانب كبير من الشعب فى الإسلام طواعية واختيارا وكانت تضم الهند آنذاك باكستان وبنجلاديش وكشمير، ثم انفصلت باكستان بأغلبيتها المسلمة عن الهند، وكان ضمن الشعب الباكستانى دولة بنجلاديش التى استقلت عن باكستان، أما كشمير فمازالت مشكلتها مستعصية الحل، وهى بلد ذات أغلبية إسلامية، ولكن الأمم المتحدة تقاعست عن حل مشكلتها وتركتها للصراع الدائم بين الهند وباكستان، كبؤرة من بؤر الصراع ضد الإسلام فى المنطقة، رغم أن ٧٥ ٪ من سكانها من المسلمين .

ومازالت بالهند أقلية إسلامية كبيرة نسبياً فى وسط أغلبية من الهندوس الذين يحكمون البلاد

**ثالثا - ماليزيا (شبه جزيرة الملايو أوملقا) :**

والمعنى بها شبه جزيرة الملايو أوملقا وهى القاعدة الرئيسية لماليزيا وتقع فى الجزء الجنوبى الشرقى لآسيا وشرقها . وتتكون من الشعب البولينيزى الذى يتكون منه معظم سكان إندونيسيا ماليزيا، والفليبين، وآلاف الجزر فى المحيط الهادى، والجدير بالذكر أن الشعب اليابانى أصله بولينيزى وهو شعب قوى تَمَّيز عن غيره من شعوب آسيا .

وقد انتشر الإسلام في بلاد ملقا، قبل غزو البرتغاليين لهذه البقاع الذين حاولوا نشر المسيحية فيها، ولكن أهل البلاد تصدوا لهم وثبتوا على دينهم، وزادهم العدوان البرتغالى تمسكاً بالإسلام . وقد كتب الملايون لغتهم بحروف عربية، وبلاد الملايوهى اليوم القاعدة الرئيسية لماليزيا .

وبجوار ماليزيا سلطنتا صباح وبروناى في شمال شبه جزيرة بورنيو وكلها سلطنات إسلامية . وكان يتبعها في أول الأمر سنغافورة ثم انفصلت عنها وأصبحت جمهورية مستقلة وهذه البلاد كلها ينتشر بها إسلام صحيح

**رابعا - الإسلام فى جزر الفيلبين :**

ينتشر الإسلام فى أرخبيل سولوأوخولوالذى يقع فى جنوب الجزر الفيلبينية . وكذلك فى جزيرة بلوان اوبهلوان الكبيرة الواقعة شرقى مجموعة الجزر .

وعندما احتل الأسبان جزيرة مندنا وعمدوا إلى تنصير الناس بالقوة استبسل المسلمون فى الدفاع عن دينهم وأراضيهم .

وقد أقام الأسبان ثم الأمريكان حاليا المؤسسات الكنسية ودب بينهما صراع عنيف لترويج كل من إرسالياتهما التبشيرية لمذهبه الكنسى ، فالأسبان يشايعون المذهب الكاثوليكى، والأمريكان يتبنون المذهب البروتستانتى .

وبدأت مأساة المسلمين فى هذه الجزر بعد استقلال البلاد بعد الحرب العالمية الثانية ويقول الدكتور حسين مؤنس[1] :

( ولكن محنة الإسلام فى جزر الفيلبين بدأت بعد استقلال البلاد بعد الحرب العالمية الثانية، وقيام حكومة وطنية على رأسها رئيس من الكاثوليك، إذ أن القساوسة اهتموا بإثارة الحكومة على المسلمين، مما دفع هؤلاء إلى رفع علم الثورة والمطالبة بحقوقهم، وعندما طال النزاع طالبوا بالانفصال بجزيرة سندنا وأرخبيل سولو، وقد استعانت حكومات الفيلبين بالأمريكيين فى صراعهم مع المسلمين، زاد تراجع الإسلام فى سندنا، ولم يتبق له من مقاره القديمة إلا جنوب سندنا وأرخبيل سولوومازال الصراع قائما إلى اليوم )

ولكن رغم ذلك مازال الإسلام موجوداً فى هذه الجزر وإن كان مضطهدا أومطاردا من الحكومة، وتعد قضية المسلمين فى هذه الجزر قضية أساسية تمثل جزءاً من الصراع الطويل الذى يلقاه المسلمون فى كل مكان من الهجمة الصليبية الغربية الشرسة على الإسلام فى ظل سيطرة مصالح القوى العالمية الأحادية تحت مسمى العولمة، ثم ابتداع صراع محاربة الإرهاب

والمعنى به فى ذرائعه محاربة الإسلام بقيادة الإمبراطورية الأمريكية المستعمر الجديد للعالم وضعف حال المسلمين فى سائر دول العالم الإسلامى الذين تاه بين قياداتهم وحكامهم الإسلام فى عباءة المصالح

---

( ١ ) كتاب " الإسلام الفاتح " ص ٦١ وما بعدها الناشر الزهراء للإعلام العربى.

الضيقة والنظرة المتفسحة التى منعتنا من أن نقوم بحق الإسلام وأدخلنا أوطاننا فى تعقيدات ومصالح سياسية، وتركنا إخواننا فى العالم الإسلامى يناضلون ضد قوى البغى والعدوان، وتخوفنا من شهر سلاح " محاربة الإرهاب " الذى أشهرته أمريكا فى وجه العالم الإسلامى أفراداً وجماعات ومؤسسات، حكومات وشعوباً، واتخذته وسيلة لمحاربة الإسلام ومنع المسلمين من التمسك بدينهم خشية زحف الإسلام السلمى كدأبه فى نشره العقيدة الصحيحة بين أهله .

ومازال الإسلام حتى اليوم يحقق لنفسه كسبا عظيما فى جنوبى آسيا ووسطها على وجه الخصوص، الذى قاوم وحدة الشيوعية الكافرة بالأديان وبوجود الله جل جلاله، وحكومات تناهض وجوده فى هذه الأقطار .

ولنتذكر إخواننا المجاهدين فى تلك الجزر، ونحميهم من المؤامرات الشريرة التى تدار حولنا، ومازال إخواننا فى حاجة لمد يد العون لهم لا بالسلاح وإنما بالمال الذى يبعثر فى ملذات وملاهى الغرب مع الدعم الفائق لهم تعزيزاً لصموده فى وجه الطغيان وهذا أقل ما يوجبه علينا الدفاع عن الإسلام دين السلام

**خامسا - الصين والتبت :**

أ- التبت :

أخذ الإسلام طريقه إلى التبت، ودخل ولايتى بلستان ولواخ، وسار الإسلام قدما فى التبت حتى القرن التاسع عشر، ولكن أحد السيخ المتعصبين، عمل على وقف تقدم الإسلام، وشجع البوذية فى

التبت، فأبطأ انتشار الإسلام، ووقف عند الجزء الجنوبي من التبت، ولا تخلو مدينة رئيسية في التبت من المسلمين، ومن التبت انتقل الإسلام إلى ولاية يونان في جنوب الصين وولاية سيشوان[1].

ب- الصين :

تذكر التواريخ الصينية أن أول دخول الإسلام في الصين، كان في أيام أسرة تانج، التي عاصرت البعثة المحمدية، وعصر الراشدين وعصر بني أمية وكان القادمون إلى الصين من التجار في عهد بني أمية، واستقروا في كانتون واتخذوا المساجد، وأنشأوا لأنفسهم جالية كبيرة

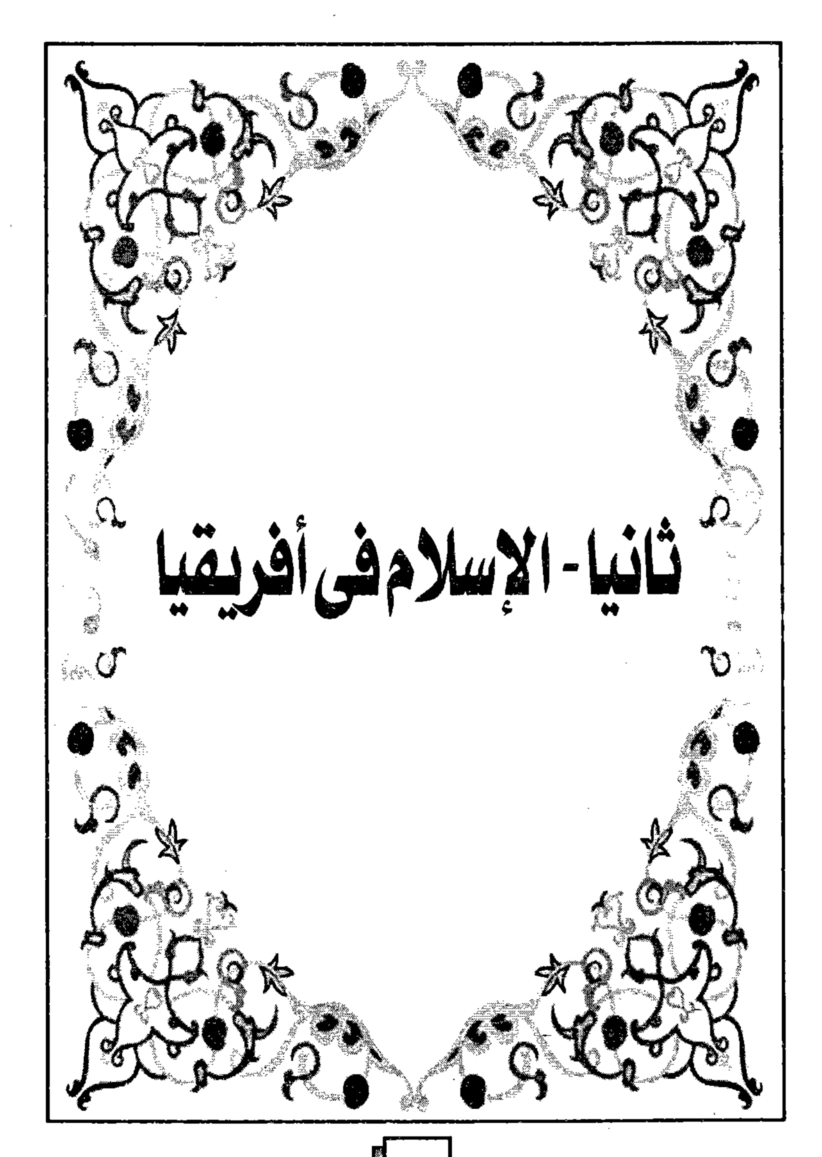
.

ويقال إن عدد المسلمين في الصين يبلغ قرابة (٧) ملايين أي الخامسة في أعداد المسلمين فيها بعد إندونيسيا وبنجلاديش والهند وباكستان ولكن حكومة الصين لا تعلن عن الأعداد الحقيقية للمسلمين بها، بل إن حكومة الصين سنة ١٩٥٠ أعلنت أن عدد المسلمين فيها عشرة ملايين فقط، ثم تقرر في نفس الوقت أنهم أكبر الأقليات اللاتينية في الصين.

وجاليات المسلمين الصينيين تتجمع في الشمال الشرقي والشمال الغربي فأكبر جماعاتهم في يونان وسيشوان، وفي الجنوب الشرقي غيرهم في وادي اليانجستي في مقاطعة أنوى، وهي التي تضم العدد الأكبر من مسلمي الصين

---

(١) - يرجع في ذلك إلى كتاب الدكتور حسين مؤنس- المرجع السابق .



# ثانيا - الإسلام فى أفريقيا

أفريقيا قبل انتشار الإسلام بها ، كانت عبارة عن قسمين لا يعرف الواحد منهما الآخر :

أولا : أفريقيا الشمالية وتقع شمال الصحراء الكبرى وهى عبارة عن بحر من الرمال وحاجز شماله يطل على البحر الأبيض المتوسط ويشمل : مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب

وهذه الدول هى التى فتحها الإسلام بالجيوش ، ولم يحارب المسلمون أهل هذه البلاد ، ولكنهم حاربوا الروم الذين كانوا يحتلونها ، ويفرضون عليهم سلطانا غاشما ، رغم وحدة المستعمر وأهل البلاد فى اعتناق المسيحية ، واستقرار المسيحية فى بلاد الروم وإيمان أهل مصر بالديانة الجديدة ، وهى ديانة أهل روما والقسطنطينية ، وهى تؤدى إلى المساواة بين الحاكم والمحكوم تحت راية المسيحية ، وأن يزول كل معنى من معانى الاستعمار ، ولكن المسيحية لم تغير من قلوب المستعمرين نحوأهل مصر ، واعتبروهم أتباعا يتحكمون فى رزقهم وحياتهم ويمارسون عليهم أبشع أنواع الاستغلال والبطش والتنكيل والتشريد ، عندما اختلف المذهب لكل من الطرفين فنشبت الحرب بين المذهبين التى دفعت المؤمنين المصريين إلى الهروب من التنكيل والبطش ، فساعد أهل مصر الجيوش الإسلامية بقيادة عمروبن العاص فى حربه ضد الروم الغزاة ، فمكنته من دحر القوى الاستعمارية ، للخلاص من اضطهاد حاكم القسطنطينية .

ثانيا : أفريقيا السوداء أى أفريقيا المدارية والاستوائية وتقع جنوب الصحراء الكبرى :

انتشر الإسلام فيها بواسطة التجار والدعاة ورجال الصوفية الذين اتصلوا بأهل البلاد وتعاملوا معهم واختلطوا بهم، نزوحا من القسم الأول الذين عبروا من الشمال إلى الجنوب، واخترقوا الحاجز الهائل الذين كان مثل الفراغ الكبير بين القسمين، وحملوا معهم رسالة الإسلام ممثلة فى فضائله وشمائله وأخلاقياته وتعاليمه البسيطة، فانتشر الإسلام بين شعوبها ودولها بقوته الذاتية، فدخل غانا فى القرن الثامن الميلادى وغينيا السوداء ومالى وغيرها من البلاد، وحل محل الوثنية شيئا فشيئا، وأصبح الإسلام الديانة الرئيسية من حدود الصحراء الكبرى إلى بلاد الكونغو. وكان للشريعة الإسلامية أثر كبير فى تقدم وتطور تلك الدول لأنها تقدم على العدالة ومكارم الأخلاق.

فأقبل أهل أفريقيا الغربية على دراسة الشريعة الإسلامية ووصل المئات من أبناء هذه المناطق إلى مراكش، وفاس، والقيروان لدراسة الشريعة والتفقه فيها والتحق البعض بالأزهر الشريف والذى كان به رواق خاص سمي رواق غانا، أوقف عليه كثير من اهل الخير أوقافا كبيرة وخرج من هذا الرواق حملة رسالة الإسلام الذين تولوا نشره فى سائر دول أفريقيا .

وإجمالا يمكن أن نستعرض وضع الإسلام فى دول أفريقيا بحسب تعداد المسلمين بالنسبة للتعداد العام للدول الأفريقية على النحو التالى :

**المسلمون فى أفريقيا :**

أكثر من ٩٠ ٪ مسلمون في البلاد التالية :

مصر ، ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، النيجر ، مالي ، موريتانيا ، الصحراء المغربية ، السنغال ، غينيا ، نيجيريا - إريتريا ، الصومال ، جيبوتي .

أكثر من ٧٠ ٪ مسلمون :

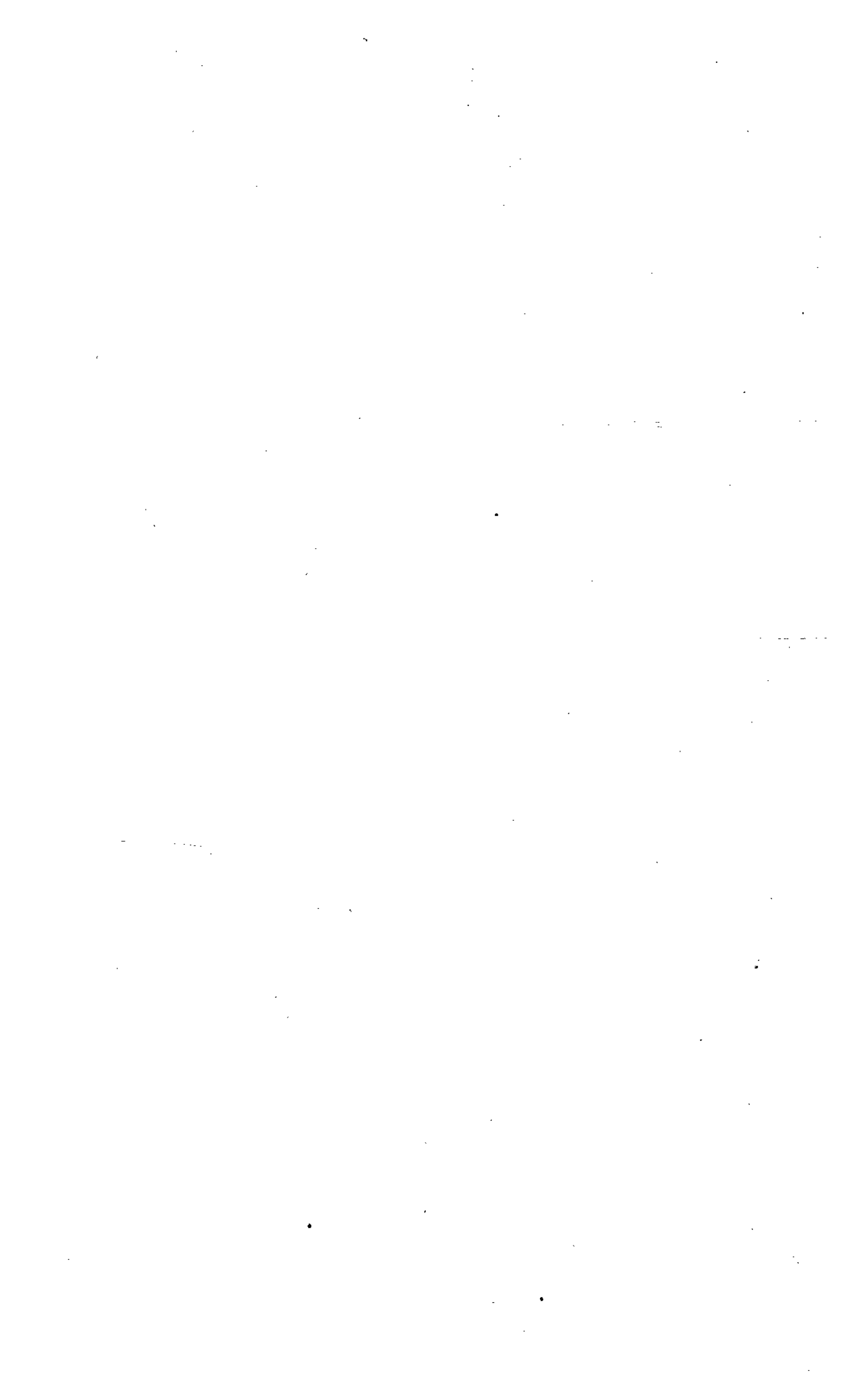
السوان ، تشاد ، فولتا العليا ، ساحل العاج ، بنين ، سيراليون ، توجو .

أكثر من ٥٠ ٪ مسلمون :

أثيوبيا ، تنزانيا ، الكاميرون ، غانا عدا أكرا فإن بها نسبة أعلى من المسلمين .

من ٣٠ إلى ٣ ٪ مسلمون

ليبريا ، أفريقيا الوسطى ، أوغندا ، كينيا ، زائير ، الكونغو ، الجابون ، أنجولا ، زامبيا ، بيساو ، موزمبيق ، زيمبابوى ، بوتسوانا ، ناميبيا ، جنوب أفريقيا ، جزيرة ملاجاش .



# المراجع


- "الإسلام والحرب الدينية" سلسلة اقرأ - دكتور محمد عمارة
- "الإسلام والمسيحية وصراع القوى بينهما فى العصور الوسطى" - دكتور جوزيف يوسف .
- "العلم" فى رياض الصالحين للنووى
- زاد المعاد لابن القيم جـ ٢
- "نظام الحياة فى الإسلام" - أبو الأعلى المودودى
- طبقات ابن سعد
- " دولة الباكستان " - البروفيسور شيروك وليمز
- "مستقبل الإسلام خارج أرضه" - الشيخ محمد الغزالى - دار الشروق
- "حرية الإنسان فى ظل عبوديته لله" - الدكتور محمود سيد الطوخى - دار الفكر المعاصر - لبنان .
- "الدعوة الإسلامية فى العهد المكى" - د . رؤوف شلبى
- "الإنسان فى القرآن" عباس محمود العقاد - الهيئة المصرية للكتاب .
على شريعتى ترجمة د .إبراهيم الدسوقى
- "الدعوة الإسلامية فى العهد المكى" من مطبوعات مجمع البحوث - د. رؤوف شلبى طبعة سنة ١٩٧٤

- مجموعة الوثائق السياسية د .محمد حميد الله
- فتح البارى جـ ٧
- الطبرى ط مصر جـ ٣
- فتوح البلدأن
- ابن الأثير ط مصر جـ ٢
- سيرة ابن هشام
- "شرق الاردن" للكولونيل فردريك بيك .
- "الرسالة الخالدة" - عبد الرحمن عزام - الطبعة الثانية
- "محمد" كاترين ارمسترونغ
- "شريعة الإسلام فى الجهاد" أبوالأعلى المودودى - ترجمة د. سمير محمد إبراهيم - دار الصفوة للنشر بالقاهرة
- "الإسلام كبديل " للدكتور هوفمان
- "ما يقال عن الإسلام" عباس العقاد - سلسلة كتاب الهلال
- الإسلام خواطر وسوانح - ترجمة احمد فتحى زغلول
- " حضارة العرب " - جوستان لوبون
- "الاختراق الصهيونى للمسيحية " - القس اكرم لمعى - دار الشروق
- "تعاليم الإسلام" توماس أرنولد .

- "محمد رسول الله" - بشر زخارى ميخائيل - الطبعة الثالثة دار الكتاب
- الدولة والسلطة فى الإسلام - دكتور محمد خاتمى .
- " الإسلام الفاتح " - الدكتور حسين مؤنس .
- "يوميات ألماني مسلم" - الدكتور مراد هوفمان ترجمة د.عباس العماوى - مركز الاهرام للترجمة والنشر






رقم الإيداع

٤٦٥١ / ٢٠٠٤

طبعت بمطابع دار التعاون الحديثة





I . S . B . N - ٩٧٧ - ٢٢٩ - ١١٢ - ٦ الترقيم الدولى